الصهيونية والغرب

من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا

دراسات
علميَّة محكَّمة
(2)

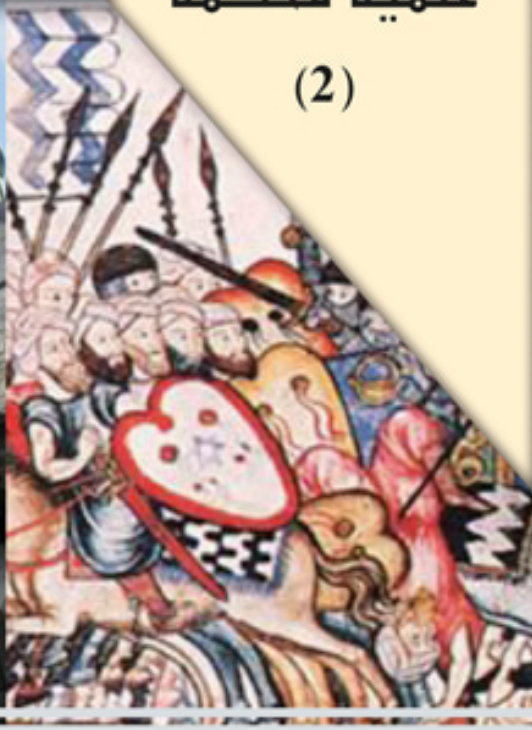

أشـــرف بـــدر

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسات
علميَّة محكَّمة
(2)

الصهيونية والغرب
من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا

أشرف عثمان بدر

رئيس التحرير
د. محسن محمد صالح

مدير التحرير
إقبال وليد عميش

مساعدو التحرير
فاطمة حسّان عيتاني
إيمان عصام برغوت
باسم جلال القاسم
ربيع محمد الدنان

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
بيروت – لبنان

Refereed Academic Studies (2)
Zionism and the West:
From Orientalism to Islamophobia

By: Ashraf ʻUthman Badr

تاريخ استلام البحث: 4 شباط/ فبراير 2016
تاريخ الإجازة النهائية للبحث: 14 آذار/ مارس 2016

حقوق الطبع محفوظة ©

الطبعة الأولى
2016م – 1438هـ
بيروت – لبنان

ISBN 978-614-494-006-8

(الآراء الواردة في الدراسة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
تلفون: 44 36 80 1 961+
تلفاكس: 43 36 80 1 961+
ص.ب.: 5034–14، بيروت – لبنان
بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net
الموقع: www.alzaytouna.net

إخراج
ربيع معروف مراد

طباعة
CA s.a.r.l |Beirut, Lebanon| +961 1 304444

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 3

الملخص 5

المقدمة 7

المبحث الأول: النظرة الاستشراقية: 14

المبحث الثاني: الصهيونية بين الاستشراق والاستعمار: 21

1. تمهيد الاستشراق للصهيونية 32
2. الالتقاء الديني بين الاستشراق والصهيونية 26
3. الاستشراق وحلّ المسألة اليهودية 29
4. الاستشراق واختراع شعب و"أرض إسرائيل" 32
5. تقاطع المصالح بين الاستعمار والصهيونية 37

المبحث الثالث: من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا 43

الخلاصة والاستنتاجات..... 56

الملخص

تسعى هذه الورقة للإجابة عن سؤال يتعلق بماهية العلاقة بين الاستشراق وكلاً من الصهيونية والإسلاموفوبيا؛ وتنطلق من فرضيتين أساسيتين الأولى أن الاستشراق مهّد للصهيونية من خلال محاولة إثبات الحق التاريخي لليهود في فلسطين، والثانية أن ظاهرة الإسلاموفوبيا عبارة عن امتداد لظاهرة الاستشراق. أما المنهجية المعتمدة لكتابة الورقة فبالإضافة للمنهج التاريخي، كان الاستقصاء والتحليل والمقارنة من خلال دراسة بعض النصوص والتقارير. تتكون الورقة من ثلاثة مباحث أساسية، المبحث الأول يتحدث عن النظرة الاستشراقية، أما المبحث الثاني فيتناول علاقة الصهيونية بالاستعمار والاستشراق، أما المبحث الثالث فيبحث في كيفية تطور ظاهرة الاستشراق لتحل محلها ظاهرة الإسلاموفوبيا.

ملخص هذه الورقة هو أنّ أعمال بعض المستشرقين مهدت الطريق أمام الحملات الاستعمارية الأوروبية بل وعمل بعضهم بشكل مباشر في خدمة الاستعمار، فهيأ الاستشراق من خلال "المعرفة" كل الشروط لترجمة القوة وفرض سيطرة استعمارية على فلسطين. تطورت ظاهرة الاستشراق وتحولت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي لظاهرة الإسلاموفوبيا، حيث تشترك هذه الظاهرة مع الاستشراق في الطروحات نفسها. كما أننا نستنتج من خلال استعراضنا لظاهرة الاستشراق وتحولها لظاهرة الإسلاموفوبيا، بأن هنالك ما يشبه الخط غير الظاهر الذي يربط بين أعمال المستشرقين و"الخبراء" ومحاولة إثبات الحق التاريخي للصهاينة في فلسطين بحيث يصبح أيّ شكل من أشكال "الرفض" لهذا "الحق" يصنف كـ"إرهاب"، وهذا سيقود بالضرورة إلى تصوير الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين كصراع بين قوميتين متصارعتين على أرض فلسطين لهما الحقوق نفسها؛ القومية الفلسطينية و"القومية اليهودية"، وذلك بهدف التعمية على حقيقة

المشروع الصهيوني الاستعماري في فلسطين، وحقيقة أن الصراع هو بين مستعمر محتل وسكان أصليين.

كلمات مفتاحية:

الصهيونية	الاستشراق	الإسلاموفوبيا
الدول الغربية	الشرق الأوسط	الاستعمار
الإرهاب	العقيدة الدينية	

الصهيونية والغرب
من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا

أشرف بدر[1]

المقدمة:

يكمن الدافع الأساسي وراء كتابة هذا البحث بالرغبة في معرفة طبيعة العلاقة ما بين ظاهرة الاستشراق والصهيونية من جهة، والاستشراق وظاهرة الإسلاموفوبيا من جهة أخرى، مع محاولة استقصاء العلاقة ما بين الصهيونية وكلا الظاهرتين. تمّ الاعتماد في هذه الورقة على مصادر عديدة مكتوبة بثلاث لغات؛ العربية والعبرية والإنجليزية. وحتى يكون مقصدنا واضح من هذه الورقة وبعيد عن التعميم و"القولبة" فالمقصود بالغرب هو الدول الاستعمارية؛ فليس من الإنصاف وضع الغرب في سلة واحدة، كما أنه ليس المقصود بالاستشراق الحركة العلمية الاستشراقية البعيدة عن الأيديولوجيا أو الأغراض "الدينية" والاستعمارية، بل المقصود ظاهرة الاستشراق بمفهوم إداورد سعيد الذي سيتم تفصيله لاحقاً. ومن هنا؛ فلسنا بحاجة للتأكيد على عدم وضع المستشرقين جميعهم في كفة واحدة؛ فمنهم من التزم بالمنهج العلمي، ومنهم من سخّر علمه لخدمة أجندات أخرى. بقي أن نذكر أن الصهيونية المقصودة في البحث لا تقتصر على دعوة ثيودور هرتسل Theodor Herzl لإقامة وطن قومي لليهود في المؤتمر الصهيوني الأول The First Zionist Congres سنة 1897، بل هي فكرة ممتدة الجذور

[1] باحث فلسطيني، وأسير محرر. حاصل على درجة الماجستير في الدراسات الإسرائيلية من جامعة القدس في سنة 2014، ويتقن اللغة العبرية. شارك بالعديد من المؤتمرات، ونُشرت له عدة مقالات في صحف ومجلات محكّمة.

إلى ما قبل ذلك، فهرتسل يُعدُّ مؤسس الصهيونية السياسية، لكن الأفكار التي دعى إليها قد سبقت الدعوة لها قبل ذلك بنحو ثلاثة قرون على يد الكثيرين من اليهود وغير اليهود[2].

الإطار النظري والمفاهيمي:

تنسب المصادر الصهيونية لناثان بيرنباوم Nathan Birnbaum ابتكار مصطلح "الصهيونية" سنة 1890، حيث تعرّف نفسها كـ"حركة تحرر وطني هدفها عودة الشعب اليهودي لوطنهم واستعادة السيادة على أرض إسرائيل"[3]، وهذا ما ذهب إليه المستشرق برنارد لويس Bernard Lewis حيث عدَّ الصهيونية حركة تحرر وطني للشعب اليهودي[4]. بينما يرى عبد الوهاب المسيري أنه من الصعب تعريف الصهيونية وذلك لعدة أسباب، من أهمها أن المصطلح يشير إلى نزعات وحركات ومنظمات سياسية غير متجانسة بل ومتناقضة أحياناً في أهدافها ومصالحها ورؤيتها للتاريخ أو في أصولها الإثنية أو الدينية أو الطبقية[5]. ومع إقرارنا بصحة ما ذهب إليه المسيري، إلا أن أصول البحث العلمي توجب اعتماد مفهوم محدد للمصطلحات الأساسية التي يدور حولها البحث، مع العلم بأننا سنصطدم بتعريفات

---

[2] ريجينا الشريف، **الصهيونية غير اليهودية – جذورها في التاريخ الغربي**، ترجمة أحمد عبدالله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة 96 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر 1985)، ص 8.

[3] A Definition of Zionism, Jewish Virtual Library, https://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/Zionism/zionism.html

[4] Bernard Lewis, "The Anti-Zionist Resolution," *Foreign Affairs*, Vol. 55, No. 1, Oct. 1976, pp. 54-64, https://www.foreignaffairs.com/articles/israel/1976-10-01/anti-zionist-resolution

[5] عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** (القاهرة: دار الشروق، 1998)، ص 13.

مجزوءة للصهيونية، كتعريف قاموس أكسفورد Oxford Dictionary لها بأنها: "حركة سياسية اهتمت بشكل أساسي بإقامة دولة مستقلة للشعب اليهودي، وهي الآن تهتم بتطوير دولة إسرائيل"[6]. بالرغم من ذلك، فإننا سنعتمد في بحثنا على تعريف موسوعة السياسة الذي ينص على أن الصهيونية: "دعوة وحركة عنصرية دينية استيطانية إجلائية مرتبطة نشأة وواقعاً ومصيراً بالإمبريالية العالمية، تطالب بإعادة توطين اليهود وتجميعهم وإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين بواسطة الهجرة والغزو والعنف كحل للمسألة اليهودية"[7]، مع تحفظنا على تعريفها كحركة دينية، فالصهيونية استخدمت الدين كأداة بالإضافة إلى أن معظم مؤسسي الصهيونية علمانيون.

اختلف الباحثون في مجال الاستشراق حول تعريفه كمصطلح؛ فهل هو حركة أم علم أم ظاهرة، فأحمد بهنسي يرى بأنه "حركة علمية غربية (أوروبية) هدفها دراسة كافة شؤون الشرق (سياسية/ اقتصادية/ تاريخية/ جغرافية/ أنثروبولوجية) لخدمة الأهداف الاستعمارية للسيطرة على بلدان العالم الشرقي (الإسلامي)"[8]. بينما نجد أن المستشرق الألماني رودي بارت Rudi Paret يذهب إلى أن كلمة الاستشراق مشتقة من كلمة شرق، وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق

---

[6] Zionism, Oxford Dictionaries, https://www.oxforddictionaries.com/definition/learner/zionism

[7] عبد الوهاب الكيالي (محرر)، **موسوعة السياسة** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983)، ج 3، ص 659.

[8] أحمد بهنسي، "الاستشراق الإسرائيلي... سمات وأهداف،" تقرير القدس الشهري الصادر عن مركز الإعلام العربي، الجيزة، السنة الثامنة، العدد 95، تشرين الثاني/ نوفمبر 2006، ص 91.

عبارة عن "علم الشرق أو علم العالم الشرقي"[9]. أما مالك بن نبي فيرى أن المستشرقين هم الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية، والذي يمكن تصنيفهم من حيث الزمن إلى طبقة القدماء كجرير دريياك والقديس توما الأكويني Thomas Aquinas، وطبقة المحدثين مثل كارادوفو Carra de Vaux وجولدسيهر Goldziher، أو تصنيفهم من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين في كتاباتهم؛ فهنالك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها[10]. وذهب إدوارد سعيد إلى اعتبار الاستشراق ظاهرة، معرّفاً إياه بأنه "أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه"[11]. في هذا البحث سيتم الاعتماد على تعريف سعيد، وذلك لدقة رؤيته وتعريفه للاستشراق.

قسّم إدوارد الاستشراق في كتابه إلى الاستشراق الجامعي، والاستشراق المسيحي الغربي أو الديني، والاستشراق المعلمن المبطن، والاستشراق السياسي، بينما يجد أحمد سمايلوفيتش Ahmed Smillovic بأنه يمكن تقسيم الاستشراق بناءً على دوافعه المتعددة، وعلى رأسها: التاريخية، والنفسية، والاقتصادية، والأيديولوجية، والدينية، والاستعمارية، والعلمية[12]، فالاستشراق من وجهة نظره يمثل حركة متواصلة الحلقات يحاول الغرب

---

[9] رودي بارت، **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**، ترجمة مصطفى ماهر (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1967)، ص 11.

[10] مالك بن نبي، **انتاج المستشرقين وأثره على الفكر الإسلامي الحديث** (بيروت: دار الإرشاد، 1969)، ص 5.

[11] إدوارد سعيد، **الاستشراق/ المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة محمد عناني (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2006)، ص 46.

[12] أحمد سمايلوفيتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر** (القاهرة: دار الفكر العربي، 1998)، ص 40–52.

فيها التعرف على الشرق علمياً وفكرياً وأدبياً، ثم استغلاله اقتصادياً وثقافياً واستراتيجياً، وجعله منطقة نفوذ له يسيطر فيها على العالم بأسره[13]. ويمكننا القول إن رؤية سمايلوفيتش لا تتعارض مع ما ذهب إليه سعيد من ناحية جوهر الاستشراق، فالاختلاف بينهما ليس جوهرياً بل شكلياً.

يرتبط الإطار النظري للاستشراق، من وجهة نظر سعيد، ببعض الأفكار والمذاهب والاتجاهات المتطرفة التي تسود الثقافة من وقت لآخر، بحيث نجد صورة لغوية للشرق، وصورة فرويدية Freudian، وصورة شبنجلرية Spengler، وصورة داروينية Darwinism، وصورة عنصرية[14]، وهكذا فإننا نجد أن الأطروحات الخاصة بتخلف الشرق وانحطاطه وعدم مساواته بالغرب، ترتبط بيسر بالغ بالأفكار الخاصة بالأسس البيولوجية للتفاوت العنصري، والتي أضيف لها مذهب داروينى يبرز الصحة "العلمية" لتقسيم الأجناس البشرية إلى أجناس متقدمة وأجناس متخلفة[15]. فنجد اتفاقاً عاماً بين المستشرقين على إحدى صور الداروينية والتي تقول بأن الشرقيين يمثلون البقايا المنحطة لعظمة سابقة[16]، وذلك بهدف تبرير احتلال الشرق واستعماره، وهذا ما التقطه منظّرو الصهيونية وبنوا عليه الفكر الصهيوني؛ فبحسب المسيري، بنيت الصهيونية على عدة أسس فكرية من أهمها فكرة الإنسان الطبيعي، وضرورة عودة الإنسان إلى الطبيعة ليعيش حسب قوانينها البسيطة، ومن هنا فإن الدعوة الصهيونية للعودة إلى صهيون، فلسطين، هي عودة للطبيعة، مع ربط هذه الفكرة بفكر

---

[13] المرجع نفسه، ص 39.

[14] إداورد سعيد، **الاستشراق / المفاهيم الغربية للشرق**، ص 72.

[15] المرجع نفسه، ص 324.

[16] المرجع نفسه، ص 388.

فريدريك نيتشة Friedrich Nietzsche القائم على الإيمان بالإنسان الأعلى "السوبرمان Superman"، الذي يجسد القوة ولا شأن له بالخير أو الشر؛ فنجد أن آحاد هعام Ahad Ha'am، أحد منظري الصهيونية، قد كتب في مقالة "إعادة تقييم القيم": اليهود ليسوا مجرد أمّة بل هم سوبر أمّة أو الأمة العليا. بالإضافة لذلك استعانت الصهيونية بفكر تشارلز داروين Charles Darwin، الفكر الداروينى، القائم على النظر للواقع باعتباره صراعاً لا يهدأ؛ صراع الجميع ضدّ الجميع، البقاء فيه للأقوى، وذلك من أجل تبرير الاستعمار باسم البقاء للأقوى، مع ربط ذلك بنظريته التي تفترض أن هنالك تفاوت عرقي وبيولوجي وحضاري بين الأجناس[17]. بناءً على ذلك نجد أن هنالك قاسم فكري مشترك بين الاستشراق والصهيونية قائم على النظرة الاستعلائية العنصرية مع إدعاء النقاء والتفوق، وبالتالي فإن الأيديولوجية الاستعمارية الغربية المبنية على مفاهيم الاستشراق (سنناقش لاحقاً اعتماد الاستعمار على مفاهيم الاستشراق) تعدُّ أحد أهم المصادر للأيديولوجية الصهيونية.

يصعب تقسيم الاستشراق إلى حقب تاريخية، ومع ذلك يرى عبد الله محمد أن القراءة الغربية الاستشراقية تنقسم إلى ثلاث دوائر تاريخية مرّ بها المسلمون وهي: دائرة التراكم العدائي المغلوط، وتبدأ منذ بزوغ الإسلام وتنتهي بتضعضع قوة الدولة العثمانية في نهاية القرن الـ 17، وتليها مرحلة الإرث الاستعماري، وتبدأ مع إرهاصات انهيار الدولة العثمانية وبروز دور محمد علي في مصر، وأخيراً مرحلة الاستعمار والانطلاق نحو العالمية، وتبدأ بعد سقوط الدولة العثمانية وبزوغ فجر الدولة الحديثة في العالم الإسلامي،

[17] عبد الوهاب المسيري، **مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي** (دمشق: دار الفكر، 2003)، ص 78–82.

حيث يعزو المستشرقون فشل التحديث إلى طبيعة المسلمين والديانة الإسلامية غير المتطابقة مع الديموقراطية، حتى أن بعض أصحاب المدرسة الاستشراقية الحديثة كبرنارد لويس يدعي أن مناهضة العرب والمسلمين لـ"إسرائيل" يعود إلى تعصبهم وعدم تقبلهم مفاهيم الحداثة التي تؤهلهم للتعايش السلمي مع غيرهم[18].

[18] عبد الله محمد، **مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين**، سلسلة دراسات استراتيجية 57 (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2001)، ص 8–29.

المبحث الأول: النظرة الاستشراقية

يتضمن الاستشراق مادة علمية تتخللها أفكار التفوق الأوروبي وشتى ألوان العنصرية والإمبريالية، وقد استمدت الصهيونية نظرتها للعرب من المفاهيم الاستشراقية، ومن ثم طورتها استناداً إلى نظرتها العنصرية[19]، يرى سعيد أن الاستشراق في نهاية الأمر هو رؤية سياسية للواقع، وهذه الرؤية مبنية على تعزيز الفرق بين المألوف (أوروبا أو الغرب أو نحن) الأذكياء/ الموضوعيين/ العقلانيين، وبين الغريب (الشرق أو هم) الأغبياء/ غير العقلانيين/ الفاسدين/ غير الموضوعيين[20]. فها هو المستشرق الفرنسي رونيه دو شاتوبريان Chateaubriand (1768–1848) على سبيل المثال يصف سكان مصر من المسلمين بالشعب الغبي المنحط[21]، هذه النظرة الاستعلائية العنصرية جسدتها الصهيونية مع بداية نشأتها؛ ففي الاجتماع الذي عقده مارك سايكس Mark Sykes كمندوب عن الحكومة البريطانية في 1917/2/7 مع قادة الصهيونية للإطلاع على مطالبهم، تركزت مطالبهم حول عدم مساواتهم مع سكان فلسطين العرب لأنها بلاد متخلفة، والحقوق المتساوية تكون في البلاد المتقدمة وفلسطين تحتاج من يطورها، وذلك موجود عند اليهود الأوربيين فقط[22]. وذهب المستشرق جورج بوش George Bush جدّ الرئيس الأمريكي (1796–1859) في كتابه "محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين The Life of

---

[19] إدوارد سعيد، **الاستشراق/ المفاهيم الغربية للشرق**، ص 52.

[20] المرجع نفسه، ص 95، و96، و101.

[21] المرجع نفسه، ص 283.

[22] يعقوب الإبراهيم، إعلان بلفور الحلقة 2–3، صحيفة **الشرق الأوسط**، لندن، 2015/12/28، انظر: http://bit.ly/1RIAtsd

Mohammed: Founder of the Religion of Islam, and of the Empire of the Saracens" إلى وصف العرب والمسلمين بأنهم أعراق منحطة وحشرات وجرذان وأفاعٍ[23]، هذه الأوصاف تكررت في خطبة للحاخام عوفاديا يوسف Ovadia Yossef، الرئيس الروحي لحزب شاس "Shas"، في آب/ أغسطس 2004، بثتها الفضائيات الإسرائيلية، يقول فيها: "إنّ اليهودي عندما يقتل مسلماً فكأنما قتل ثعباناً أو دودة، ولا أحد يستطيع أن ينكر أن كلاً من الثعبان أو الدودة خطر على البشر، لهذا فإن التخلص من المسلمين مثل التخلص من الديدان أمر طبيعي أن يحدث"[24]، وهذا يشير إلى تبني الصهيونية للنظرة الاستشراقية للعرب والمسلمين.

تبنت وسائل الإعلام الغربية وعلى رأسها وسائل الإعلام الأمريكية النظرة الاستشراقية للفلسطينيين بعد الإعلان عن "دولة إسرائيل"؛ من خلال وصفهم بالغباء والتعصب والتخلف الاجتماعي، في مقابل أطفال "إسرائيل" الجدد الذين استولوا على المنازل العربية ونظفوها لصالح المهاجرين الجدد الذين يعملون على إقامة حضارة جديدة في المشرق العربي، وقد ظهر ذلك بوضوح في كتاب كينيث بيلبي Kenneth Bilby، مراسل صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون New York Herald Tribune في حرب 1948، الصادر سنة 1950 بعنوان نجمة جديدة في الشرق الأدنى New Star in the Near East[25]. وبعد حرب 1967، بحسب دراسة لجانيس مونتي بيلقاوي

[23] انظر عرض ونقد كتاب **محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين** لجورج بوش (1796–1859)، شبكة الألوكة، في: http://www.alukah.net/library/0/18660

[24] عوفاديا يوسف عندما يتحول الحاخام إلى داعية كراهية، موقع الجزيرة.نت، 2013/10/7، انظر: http://bit.ly/1leH7I3

[25] ستيفن بينيت، "الاستشراق والخطاب التوراتي في وسائل الإعلام الأميركية،" ترجمة سميح حمودة، مجلة **حوليات القدس**، مؤسسة الدراسات المقدسية، القدس، العدد 10، شتاء 2010، ص 21.

Janice Monti Belkaoui، صورت وسائل الإعلام الأمريكية قادة "إسرائيل" كأبطال أسطوريين شديدي الوسامة، وفي المقابل أغفلت أقوال القادة العرب أو إجراء مقابلات معهم، فتم تصوير الإسرائيليين كضحايا يدافعون عن أنفسهم ضدّ هجمات المعتدين العرب[26].

يكمن الاستشراق في كونه دليلاً على السيطرة الأوروبية الأمريكية على الشرق أكثر من كونه خطاباً صادقاً حول الشرق[27]، فالعلاقة بين الشرق والغرب علاقة قوة وسيطرة، ودرجات متفاوتة من الهيمنة "المركبة"[28]. وتقوم النظرة الاستشراقية الاستعلائية على أن "القوة والعصا أفضل وسيلة"، و"القطيع يتبدد بإزالة من يقف في المقدمة"، تكثيفاً لمقولة عالم النفس فرويد "الشعوب غير الأوروبية كاذبة، همجية، عنيفة، كسولة، متخلفة"، وقد تمظهرت هذه النظرة الاستشراقية تجاه الفلسطينيين من خلال تصريحات قادة "إسرائيل"؛ فرئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق شامير Yitzhak Shamir يقول رداً على انطلاق انتفاضة الحجارة سنة 1987: "سوف نخضعكم بالبطش؛.....أنتم لستم سوى جنادب قياساً بإسرائيل"[29]، وعلى المنوال نفسه نجد أن الحملة الانتخابية لحزب "إسرائيل بيتنا" اليميني سنة 2009 تبنى شعار "فقط ليبرمان Lieberman يفهم العربية"[30]، كناية عن أن العرب لا يفهمون سوى لغة القوة.

---

[26] ستيفن بينيت، "**الاستشراق والخطاب التوراتي في وسائل الإعلام الأميركية**،" ص 25 و27.

[27] إدوارد سعيد، **الاستشراق/ المفاهيم الغربية للشرق**، ص 50.

[28] المرجع نفسه، ص 49.

[29] أحمد قطامش، استحقاقات سياسية وتنظيمية يستوجبها الاشتباك الانتفاضي في الأراضي المحتلة، صحيفة **القدس**، القدس، 2015/11/30.

[30] الدعاية الانتخابية لحزب إسرائيل بيتنا 2009، موقع اليوتيوب، انظر:
http://youtu.be/0mjceh-6Hq4 (بالعبرية)

استفحلت مؤخراً النظرة الاستشراقية الاستعلائية في صفوف القادة الإسرائيليين؛ حتى وصل الأمر برئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu للمجاهرة —في معرض تعليقه على تشبيه بعض وسائل الإعلام الإسرائيلية لحادثة حرق عائلة الدوابشة الفلسطينية على يد مستوطنين يهود ببعض الأفعال "الإرهابية" العربية— برفضه تشبيه الإرهاب اليهودي بـ"الإرهاب العربي" بحجة كون "إسرائيل" دولة ديموقراطية بعكس غيرها من الدول العربية[31]. فبالرغم من بشاعة الجريمة وحرق عائلة فلسطينية كاملة بما فيها طفل رضيع على يد المستوطنين إلا أن نتنياهو يرى بأنه لا مجال لوصم هذا الفعل بالإرهاب، وعلى ما يبدو ينبع حرص نتنياهو على عدم مساواة العربي باليهودي من رغبته في الإبقاء على الصورة الذهنية للإرهابي ملتصقة بالعربي الفلسطيني دون أن تشمل المتطرفين من اليهود.

قامت المؤسسة الصهيونية بتغطية هذا الإجرام بفتاوى بعض الحاخامات المتطرفين، فقد تبين أن معظم منفذي العمليات الإرهابية ضدّ الفلسطينيين هم من أتباع الحاخام إسحاق جيزنبيرج Yitzhak Ginsburg؛ حيث اشتهر بفتاويه التي تحرض بشكل مباشر على قتل الفلسطينيين والفتك بهم. وإصدار الفتاوى المحرضة على قتل الفلسطينيين لا تتوقف على غيزنبيرغ؛ فقد أيَّد أيضاً الحاخام دوف ليئور Dov Lior، الذي يعد أبرز المرجعيات الدينية لـ"حزب البيت اليهودي Jewish Home Party"، جريمة إحراق عائلة دوابشة، وفي مطلع سنة 2013 أصدر غيزنبيرغ ما يمكن عدّه "المسوغ الفقهي" الذي عملت على أساسه مجموعات "تدفيع الثمن

[31] موقع مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي، جلسة الحكومة، 2015/12/27، انظر:
http://www.pmo.gov.il/MediaCenter/SecretaryAnnouncements/Pages/govmes271215.aspx (بالعبرية)

Price tag" الإرهابية اليهودية، التي نفذت عشرات الاعتداءات في المدن والقرى والبلدات الفلسطينية، وأحرقت عدداً كبيراً من المساجد وثلاث كنائس في الضفة الغربية وداخل المدن التي يقطنها فلسطينيو الداخل. وحسب غيزنبيرغ، فإنه يتوجب تفهم جرائم "شارة ثمن" على أنها"مقدمة طبيعية للخلاص اليهودي"، حيث عدّ هذه الجرائم بمثابة"المخاض الذي تمر به الأمة قبل تحقيق الخلاص". ومما لا شكّ فيه أن أخطر "المصنفات الفقهية" اليهودية التي صدرت حديثاً، وتسوغ قتل العربلمجرد أنهم عرب، وعدم التفريق بين طفل وبالغ، هو كتاب "شريعة الملك The King's Torah"، لمؤلفه الحاخام إسحاق شابيرا Yitzhak Shapira، الذي صدر سنة 2009. وهناك في "إسرائيل" من يرى أن أعضاء التنظيمات الإرهابية اليهودية الذين يتعمدون المس بالأطفال الفلسطينيين تأثروا بمصنف شريعة الملك، لأنه تضمن "مسوغات فقهية" توجب قتل الرضع العرب بحجة أنهم عندما يكبرون سيحاربون "إسرائيل"، لذا فالأجدر أن يتم قتلهم مبكراً. المفارقة أنه على الرغم مما يعكسه هذا الكتاب من شطط وخلل أخلاقي وقيمي وديني، فإن العشرات من الحاخامات أيدوا ما جاء فيه، في حين عدّه عدد من أعضاء مجلس الحاخامية الكبرى، التي تعدُّ أكبر هيئة دينية رسمية في "إسرائيل"، "إبداعاً فقهياً"[32].

يتساءل المرء لماذا يحرص المستشرقون والصهاينة على وصم الشرقيين بصفات غير إنسانية، ولماذا الحرص على ترسيخ معادلة "نحن" و"هم"، الإجابة قد تكون في علم النفس الاجتماعي؛ حيث حاول هذا العلم تفسير بعض تصرفات الجماهير وكيفية حصول تحول في سلوكياتها، بحيث تتحول من تصرفات عاقلة إلى تصرفات تفتقر للعقل والمنطق؛ وبالتالي يتحول أفراد

[32] صالح النعامي، الحاخامات وفقه التوحش المسكوت عنه، الجزيرة.نت، 2016/1/1، انظر: http://bit.ly/1Ombgjc

مسالمين غير عنيفين للنقيض تماماً. على ما يبدو كان لا بدّ للاستشراق كي يمهد للاستعمار والصهيونية إقناع جمهوره "الغربي" بتقبل فكرة السيطرة على شعب آخر "الشرقي"، بل وممارسة العنف ضده، وهذا لن يحصل بدون نزع صفة الإنسانية عن "الآخر" من خلال وصمه بصفات التخلف وتشبيهه بالحيوانات، بحيث يكون هنالك "نحن" المتحضرون الأذكياء المتفوقون في مقابل "هم" المتخلفين الأغبياء المنحطين، الذين لا يستحقون الحياة أو حتى الشفقة عند قتلهم كما صرح بذلك الحاخام عوفاديا يوسف. تصنيف "نحن" و"هم" الخطوة الأولى لذلك، كما حدث في تجربة جان إليوت jane Elliott[33] مع تلاميذها.

المثال الصارخ على نتيجة نزع صفة الإنسانية عن الخصم في العصر الحديث كان في رواندا عندما قام الإعلام التابع لقبيلة الهوتو Hutu بوصف أعدائهم من قبيلة التوستي Tutsi بأنهم وحوش وآكلي بشر وأنهم عبارة عن ثعابين وجرذان، فكانت النتيجة حرب أهلية راح ضحيتها أكثر من 800 ألف إنسان[34]. وهكذا يتم تحويل "الغرب/ نحن" والشرق/ هم" إلى "جمهورَين نفسيَيْن"؛ كل جمهور معاد للآخر، كما أشار لذلك جوستاف لوبون

[33] قامت المعلمة جان اليوت عقب اغتيال مارتن لوثر كنغ سنة 1968 بمحاولة إقناع طلابها بخطورة الحكم على الآخرين بسبب لون بشرتهم ولإثبات ذلك قامت بإجراء تجربة على تلاميذها من الأطفال لمعرفة تأثير "التصنيف" على سلوكيات الأطفال من خلال تقسيم الطلاب إلى فريقين، فريق الأطفال أصحاب العيون الزرقاء الذين تم وصفهم بالأذكى، بينما الأطفال أصحاب العيون البنية يعدّون أقل ذكاءً وبالتالي لايحق لهم الشرب من صنبور المياه مباشرة بل يجب أن يشربوا بواسطة الأكواب الورقية ولا يحق لهم اللعب مع الأطفال أصحاب العيون الزرقاء، النتيجة كانت إحباط أصحاب العيون البنية في مقابل فرح أصحاب العيون الزرقاء، وخلال فترة وجيزة قام أصحاب العيون الزرقاء بالتحرش وضرب أصحاب العيون البنية، وأصبح إطلاق وصف صاحب العيون البنية بمثابة شتيمة، وعند تكرار التجربة مع طلبة الجامعات تكررت النتيجة نفسها مع علمهم بأنها تجربة، انظر: http://www.janeelliott.com

[34] Five Steps to Tyranny, site of BBC, https://www.youtube.com/watch?v=jk2-ZXAWkfg

Gustave Le Bon في كتابه سيكولوجية الجماهير Crowd Psychology، حيث يرى لوبون بأن هنالك روحاً للجماهير مكونة من الانفعالات البدائية ومكرسة بواسطة العقائد الإيمانية القوية، وهي أبعد ما تكون عن التفكير العقلاني والمنطقي، كما أنها خاضعة لتحريضات وإيعازات أحد المحركين أو القادة الذي يعرف كيف يفرض إرادته عليها؛ فالقائد يستخدم الصور الموحية والشعارات بدلاً من الأفكار المنطقية والواقعية ليستملك روح الجماهير ويسيطر عليها. يرى لوبون أن الجمهور النفسي عبارة عن تجمع بشري يمر في لحظة معينة بظروف متشابهة تحوِّله لكائن جديد له صفات مختلفة، فيتجمع الأفراد ويصبحوا كتلة ذهنية واحدة، والكتلة هذه لها صفات مختلفة عن صفات الأفراد المتفرقين، بحيث يتصرف الجمهور بلا وعي أو عقلانية، فتجد الفرد، بغض النظر عن مستواه الفكري، يؤيد جمهوره النفسي وتصرفاته لمجرد أنها خرجت من جمهوره بغض النظر عن صحة التصرف أو خطئه؛ فهو لا يُخضع هذه الأفكار للمحاكمة العقلية لأنها ببساطة صادرة عن "جمهوره النفسي"[35]، وهذا ربما يفسر ما حدث في الولايات الأمريكية المتحدة عقب أحداث 2001/11/11، من سقوط ضحايا مدنيين من النساء والأطفال في أفغانستان والعراق بذريعة محاربة "الإرهاب"، حيث تظهر بعض الإحصائيات مقتل أكثر من مليون شخص منذ بداية الغزو الأمريكي للعراق[36].

[35] انظر: غوستاف لوبون، **سيكلوجية الجماهير**، ترجمة هاشم صالح (بيروت: دار الساقي، 1991).

[36] القتلى العراقيين والغزو الأميركي، الجزيرة.نت، 2008/4/6، انظر:
http://bit.ly/1UpZqX3

المبحث الثاني: الصهيونية بين الاستشراق والاستعمار

مهدت أعمال بعض المستشرقين الطريق أمام الحملات الاستعمارية الأوروبية بل وعمل بعضهم بشكل مباشر في خدمة الاستعمار، وهذا ما أقر به المستشرق جوستاف دوجا Gustave Dugat بقوله:

إن المستشرقين مناطون بمهمة جديدة، إذ عليهم وهم يجوبون فلك العلم الخالص أن يهتموا بالعالم الحاضر في الوقت الذي تكتسح فيه أوروبا كل المناطق الشرقية، ويقوم أمر تكوين عاملين حضاريين وتلقينهم العلوم الآسيوية قصد غاية سياسية وتجارية (....) على الحكومات الواعية بمصالحها الحقيقة أن تعرف كيف تشجع وتستخدم رجال العلم والإخلاص أولئك: فالأمر يتعلق بإلحاق إضافات أخرى إلى محصول الحضارة المكتسبة وذلك لاغتنام الإفادات التي من شأن الشعوب الشرقية أن تعطينا إياها، (كما يتعلق) بإمداد هذه الشعوب بنصيبها من فتوحاتنا الفكرية والأخلاقية والمادية[37].

ما ذكره دوجا كان واضحاً في حملة نابليون بونابرت Napoléon Bonaparte الاستعمارية على مصر والشام (1798–1801) حيث قام بتجنيد عدد كبير من العلماء وأوصى نائبه كليبر Kléber بأن يدير مصر من خلال المستشرقين والزعماء الدينيين الإسلاميين الذين يستطيع المستشرقون استمالتهم[38]، وها هو المستشرق الفرنسي سيلفستر دوساسي Silvester de Sacy، الذي شغل منصب مستشار للشؤون السياسية الشرقية في الحكومة الفرنسية، يشرف بنفسه على تحرير البيانات والنشرات

[37] سليمان حميش، "الاستشراق والعقد الاستعماري،" **مجلة الاجتهاد**، 1994، ص 198 و199، انظر: http://bit.ly/1P0CXzq

[38] إدوارد سعيد، **الاستشراق/ المفاهيم الغربية للشرق**، ص 153 و154.

لجيش نابليون بالإضافة لصياغة النداء الموجه إلى الجيش الفرنسي باجتياح الجزائر سنة 1830[39]. أضف إلى ذلك عدة مهام تمّ إيكالها للمستشرقين، فعلى سبيل المثال أوفدت الحكومة البريطانية المستشرق هنري بالمر Henry Palmer (1840–1882) خلال أحداث ثورة عرابي بهدف رشوة القبائل العربية في سيناء من أجل تأليبها ضدّ عرابي، كما سخّر المستشرق الهولندي كريستان سنوك Christiaan Snouk (1857–1956) أبحاثه في خدمة الاستعمار الهولندي في العالم الإسلامي؛ وخصوصاً في جزر الهند الشرقية[40]، ووصل الأمر بالمستشرق ماكس ميلر Max Müller إلى الإشراف على تخريج كوادر الإدارة الاستعمارية في الهند سنة 1882[41]، ويُعدُّ الضابط البريطاني المستشرق توماس إدوارد لورانس Thomas Edward Lawrence، لورانس العرب، الدور البارز في الثورة العربية سنة 1916 ضدّ الدولة العثمانية مثال صارخ على تماهي بعض المستشرقين مع الاستعمار؛ فهو يصرح بشكل واضح: "عندما أعلنت تركيا الحرب على بريطانيا، انطلقنا نحن الذين نؤمن بالعرب لنعمل على تركيز الجهود البريطانية وخلق عالم عربي جديد في آسيا، ولم يكن عددنا كبيراً بل كنا قلائل نلتف حول كلايتون Clayton رئيس قلم الاستخبارات المدنية والعسكرية في مصر"[42].

برر الغرب الاستعماري أقدامه على احتلال الشرق من أجل معاونته على التحضر؛ تطبيقاً للفكرة القائلة بأن على الرجل الأبيض يقع عبء تمدين

---

[39] روجيه جارودي، **ما يعد به الإسلام**، ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم (دمشق: دار الوثبة، 1983)، ص 233.

[40] توفيق سليمان، **أسطورة النظرية السامية** (دمشق: دار دمشق، 1982)، ص 71–78.

[41] روجيه جارودي، **ما يعد به الإسلام**، ص 233.

[42] توماس لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ترجمة محمد النجار (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، 1963)، ص 25.

البرابرة وتثقيفهم[43]، ولم يقتصر جهد المستشرقين على التمهيد للاستعمار بل تجاوزه للتمهيد لتحقيق مشروع الصهيونية بإقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، وهذا ما سنستعرضه في السطور القادمة.

1. تمهيد الاستشراق للصهيونية:

يرى أحمد بهنسي بأن هنالك تداخل بين الاستشراق الغربي، واليهودي، والصهيوني، والإسرائيلي؛ فالاستشراق اليهودي بدأ بدراسة الإسلام والمجتمعات الإسلامية مع انطلاق الاستشراق الغربي في القرن الـ 18، ثم ارتبط المستشرقون اليهود بالحركة الصهيونية بعد انطلاقها سنة 1881، بهدف خدمة الحركة الصهيونية وتأصيل الوجود اليهودي في فلسطين، وأخيراً جاء الاستشراق الإسرائيلي بعد الإعلان عن قيام "إسرائيل" سنة 1948، الذي عمل على دراسة قضايا الصراع العربي الإسرائيلي بهدف تقديم العون للقيادة الإسرائيلية في إدارتها للصراع[44]. فعندما نستعرض أسماء أبرز المستشرقين نجد أن عدداً كبيراً منهم أصوله يهودية، فمنهم على سبيل المثال الفرنسي سولومون مونك S. Munk (1803–1867) الذي كتب سنة 1845 "فلسطين وصف جغرافي وتاريخي وآثاري Palestine, Description Géographique, Historique et Archéologique"، والهنغاري أرمينوس فامبري A. Vambery (1832–1913)، الذي توسط لثيودور هرتسل سنة 1901 كي يقابل السلطان العثماني عبد الحميد، أما المجري اجنتس جولدتسهير E. Goldziher (1850–1921)، فقد اهتم بالدين الإسلامي والفرق الإسلامية ومن أهم كتبه "دراسات إسلامية".

---

[43] أرسكين تشايلدرز، **الحقيقة عن العالم العربي**، ترجمة خيري حماد (بيروت: المكتب التجاري، 1960)، ص 54.

[44] أحمد بهنسي، "الاستشراق الإسرائيلي... سمات وأهداف،" ص 92.

ونجد أن الألماني جوزيف هورفيتش J. Horovitz (1874–1931)، كان عضو في مجلس إدارة الجامعة العبرية Hebrew University، بينما كتب الإنجليزي ريتشارد جوتهيل R. Gottheil (1862–1936)، مقالة الصهيونية Zionism في الموسوعة اليهودية Jewish Encyclopedia وترأس اتحاد الصهيونيين الأمريكيين Federation of American Zionists في الفترة 1898–1904، واهتم الألماني ماكس مايرهوف M. Maeyerhof (1874–1945) بتحقيق أعمال موسى بن ميمون Moses Maimonides، وعمل الألماني دافيد بانت D. Banet (1897–؟) كأستاذ للغة العربية في الجامعة العبرية، وأخيراً نجد أن النمساوي باول كراوس P. Kraus (1904–1944)، تعلم العربية في الجامعة العبرية ومارس التدريس في جامعة القاهرة[45].

من الصعب التصور أن توجه عدد كبير من الباحثين ذوي الأصول اليهودية للدراسات الاستشراقية قد جاء من قبيل المصادفة، حيث يرى ساندر سليمان Sander Suliman[46] أن اليهود كأقلية في أوروبا توجهوا عن قصد لدراسة العلوم الإنسانية من أجل التأثير في الأفكار والتوجهات الغربية، وهذا على ما يبدو ما يفسر هذه الظاهرة[47].

هيأ الاستشراق من خلال "المعرفة" كل الشروط لترجمة القوة وفرض سيطرة استعمارية على فلسطين، حيث عملت عدة جمعيات استشراقية

---

[45] إبراهيم عبد الكريم، **الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل** (عمّان: دار الجليل، 1993)، ص 40–46.

[46] رئيس قسم العلوم السياسية في جامعة الخليل، مواليد ألمانيا والده فلسطيني ووالدته ألمانية، خبير في الاستشراق.

[47] مقابلة شخصية مع د. ساندر سليمان رئيس قسم العلوم السياسية (جامعة الخليل)، في جامعة الخليل، 2015/12/20.

على تسهيل مهمة الاستيطان الصهيوني في فلسطين، من أهمها صندوق الاكتشاف الفلسطيني Palestine Exploration Fund الذي تأسس سنة 1865؛ والذي يهدف إلى القيام بمسح كامل ودقيق لفلسطين، والبحث العلمي في الآثار الوثيقة الصلة بـ"التاريخ التوراتي"، والقيام بحفريات لإلقاء الضوء على فنون "الأمة اليهودية". فعملت اللجان التابعة للصندوق من أجل الإجابة على عدة أسئلة من أهمها تحديد موقع "هيكل اليهود" JewishTemple الذي بناه سليمان وهدمه تيتوس Titus، بالإضافة إلى معرفة الطريق الذي سلكه النبي موسى مع بني إسرائيل عند هجرته من مصر إلى فلسطين. وعلى الرغم من أن نشاط الصندوق ينبع من فكرة دينية تستهدف دراسة كل ما يتعلق بالأراضي المقدسة، إلا أن مجالات نشاطه وما قام به من عمليات المسح والحصر ووضع الخرائط لا يمكن إرجاعها إلى مواضع أثرية دينية فقط، وخصوصاً أن التعاون كان كاملاً بين العاملين فيها من علماء ومستشرقين وضباط في وزارة الحربية البريطانية وسلاح الهندسة الملكية، مثل كوندور Condor، وولي، ولورنس Lawrence، وبالمر Palmer، وكيتشنر Kitchener الذي كان يرى بأن احتلال فلسطين سيضمن تأمين طرق المواصلات الرئيسية، وبأن أرض فلسطين تعود ملكيتها لليهود[48]. أما الكابتن تشالرز وارين Charles Warren فقد دعى في كتابه "أرض الموعد" The Land of Promise إلى ضرورة تطوير فلسطين على يد شركة الهند الشرقية East India Company عن طريق إدخال اليهود إليها من أجل احتلالها وحكمها[49]، بالإضافة إلى الكولونيل واطسون Watson الذي رأس اللجنة التنفيذية للصندوق واشترك في الحملة المصرية

[48] خيرية قاسمي، "نشاطات صندوق اكتشاف فلسطين 1865–1915،" مجلة **شؤون فلسطينية**، مركز الأبحاث م.ت.ف، بيروت، عدد 104، تموز/ يوليو 1980، ص 71–94.

[49] أسعد رزوق، **إسرائيل الكبرى/ دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني**، سلسلة كتب فلسطينية (13) (بيروت: مركز الأبحاث م.ت.ف، 1968)، ص 42.

وعُيِّن بدائرة المخابرات في الجيش وقام بوضع كتاب سنة 1915 Fifty years Work: in the Holy Land, A record and summary 1865–1915، وبذلك أسهم الصندوق في تكوين صورة كاملة عن أوضاع فلسطين في أوسع مداها وأدقها، فقدم خدمة عظيمة للصهيونية[50]. وهذا ما عبَّر عنه المستشرق كلود كوندور Claude Conder في محاضرة ألقاها سنة 1892 بقوله إنه وزملاءه كان لهم الفضل في تشجيع الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين، من خلال إلقاء الضوء على التوراة، بهدف مساعدة سكان فلسطين المستقبليين من اليهود من أجل الحصول على الحقائق الثابتة عن طاقات البلد وإمكانياته[51].

لم يقتصر التمهيد للصهيونية على الاستشراق الفرنسي والبريطاني بل تعداه لروسيا القيصرية؛ التي أنشأت سنة 1852 لجنة من المستشرقين هدفها تهيئة الوسائل اللازمة لتأسيس بيوت للمهاجرين اليهود إلى فلسطين، وفي أثناء الاحتفال بالذكرى الـ 90 لتأسيس الجمعية، ألقى المستشرق س.ل. يتحسفكي كلمة قال فيها: "إن جمعية الاستشراق الروسي قد ساهمت مساهمة فعالة في إنجاز وتحقيق الوطن القومي في فلسطين"[52].

2. الالتقاء الديني بين الاستشراق والصهيونية:

تقع معتقدات عقيدة العصر الألفي السعيد في قلب معظم المعتقدات المسيحية والإنجيلية المتعلقة بدور "إسرائيل" فيما يتعلق بـ"نهاية العالم"،

---

[50] أحمد سمايلوفيتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، ص 142 و143.

[51] محمود المراش، "بريطانيه: صندوق الاستكشافات الفلسطينية،" مجلة **شؤون فلسطينية**، العدد 9، أيار/ مايو 1972، ص 200–202.

[52] محمد الدسوقي، **الفكر الاستشراقي: تاريخه وتقويمه** (المنصورة: دار الوفاء، 1995)، ص 50.

وهو تفسير تنبؤي معقد للنصوص المقدسة المتعلقة بالمجيء الثاني للمسيح ونهاية العالم، بالاستناد على قراءات من مرقس 13، ومتّى 24، ولوقا 21، بحيث يصبح تدفق اليهود إلى "الأرض المقدسة"، وتأسيس "دولة إسرائيل" كمقدمة لسيناريو نهاية العالم[53]. وهذا يفسر دور حركة الاسترجاع المسيحية/ البروتستانتية Protestantism، الصهيونية المسيحية التي كانت تطالب بإعادة اليهود إلى "أرضهم الأم" حتى يتسنى هدايتهم وتحويلهم إلى المسيحية، فعودة اليهود وهدايتهم وتنصيرهم كانت تعد شرطاً أساسياً لحلول الألفي السعيد التي سيحكم فيها المسيح المخلص ألف عام، وهذا ما جعل الصهيوني ناحوم سوكولوف Nahum Sokolov في كتابه تاريخ الصهيونية History of Zionism يفسر تعاطف بريطانيا وتفهمها للحركة الصهيونية بالطابع الإنجيلي للشعب الإنجليزي[54]. حيث أتاحت حركة الإصلاح الديني البروتستاني الفرصة لانبعاث القومية اليهودية، عبر التغيرات اللاهوتية التي جاءت بها، وعلى رأسها الترويج لفكرة أن اليهود أمة مفضلة وضرورة عودتهم إلى أرض فلسطين[55]. في السياق نفسه رأى العديد من الإنجيليين حرب 1967 بمثابة التحضير للمجيء الثاني للمسيح، فحثّ القس الأمريكي الشهير بيلي جراهام Billy Graham "إسرائيل" على عدم التخلي عن الأراضي التي استولت عليها، مشيراً إلى أن اليهود هم "شعب الله المختار" وأن أرض فلسطين ملك لهم[56]. هذه النظرة الدينية مهدت للحركة الاستعمارية "الرأسمالية"

---

[53] ستيفن بينيت، "الاستشراق والخطاب التوراتي في وسائل الإعلام الأميركية،" ص 19.

[54] عبد الوهاب المسيري، **الأيدلوجية الصهيونية**، ط 2 (الكويت: دار المعرفة، 1992)، ص 32 و34.

[55] ريجينا الشريف، **الصهيونية غير اليهودية – جذورها في التاريخ الغربي**، ص 35.

[56] ستيفن بينيت، "الاستشراق والخطاب التوراتي في وسائل الإعلام الأميركية،" ص 25 و27.

والصهيونية، وهذا ما ذهب إليه ماكس فيبر Max Weber حيث يرى أن النزعة الطائفية البروتستانتية قامت على الربط بين السلوك الديني والرأسمالية، فالمسيحيون "الحقيقيون" وحدهم المقبولين في الطائفة[57].

استخدام الدين لم يقتصر على الاستشراق الغربي بل نجده حاضراً بقوة في السلوك الصهيوني، فالعقيدة الدينية لعبت دوراً مهماً في الأيديولوجية الصهيونية، وكما يرى روجيه جارودي Roger Garaudy "الحركة الصهيونية لا يمكن أن تتماسك إلا بالعودة إلى الموزاييك الديني، احذفوا مفاهيم الشعب المختار وأرض الميعاد فستنهار أسس الصهيونية.... إن ضرورة الترابط الداخلي للبنية الصهيونية لإسرائيل فرض على قادتها تعزيز سلطة رجال الدين"[58]، فكما هو معروف أن المتدينين عارضوا في البداية الصهيونية، لكن بعضهم وجد فيها وسيلة لتحقيق "بداية الخلاص" ونزول المسيح المنتظر. كما حاول قادة الحركة الصهيونية التوصل إلى تسويات من أجل وحدة "الأمة"[59]، وهكذا نجد رئيس الوزراء الإسرائيلي دافيد بن جوريون David Ben–Gurion في سنة 1956 يبرر مشاركة "إسرائيل" بحرب السويس، بالرغم من كونه ملحداً ويفتخر بعدم التزامه بشروط الدين اليهودي، بالتصريح في الكنيست أن السبب الحقيقي للحرب هو "استعادة مملكتي داوود وسليمان إلى حدودها التوراتية"[60].

---

[57] ماكس فيبر، **الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**، ترجمة محمد علي مقلد، تحقيق جورج أبي صالح (لبنان: مركز الإنماء القومي، 1990)، ص 179.

[58] عبد القادر عبد العالي، التصدّع الديني العلماني من خلال الحالة الإسرائيلية، موقع إنسانيات، 2007، انظر: http://insaniyat.revues.org/3167

[59] العلاقة بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل (الماضي/ الحاضر/ المستقبل)، موقع مركز تكنولوجيا التعليم، انظر: http://lib.cet.ac.il/pages/item.asp?item=17807 (بالعبرية)

[60] إسرائيل شاحاك، **تاريخ اليهود وديانتهم**، ترجمة ناصرة السعدون (دمشق: دار كنعان، 2012)، ص 41.

التقى الدافع الديني للاستشراق مع الطموحات الصهيونية، وحصل انسجام كبير بين أهداف الاستشراق الدينية والصهيونية، حيث يرى محمد إدريس أن الهدف الديني للاستشراق كان إضعاف الإسلام وتشويهه والتشكيك في قيمه عن طريق إثبات فضل اليهودية عليه، والزعم بأن اليهودية مصدر الإسلام الأول، لأن الدين الإسلامي كان دوماً المحرك الأساسي لمقاومة الاستعمار والحملات الصليبية[61]. وهذا ما عبر عنه المستشرق برنارد لويس بقوله: "كان الإسلام في عيون مسيحيي العصور الوسطى العدو الأكبر، وكانت دراسته تعد بمثابة ضرورة من أجل أهداف واقعية للغاية، أحدها كان جدلياً: الرغبة في فهم هذا الدين بهدف مقاومته وتدميره"[62].

3. الاستشراق وحلّ المسألة اليهودية:

بدأت المسألة اليهودية أو اللا سامية بالظهور في برلين عقب تأسيس "عصبة اللا ساميين Antisemitism" سنة 1880، في السنة نفسها كتب الأستاذ الجامعي تريتشكيه: "اليهود عنصر غريب في ألمانيا لا يريد ولا يستطيع أن يندمج، مطالبتهم بالاعتراف بحقوقهم القومية تهدم الأسس القانونية للمساواة التي منحت لهم". وتبعه يوجين ديرينج الذي كتب "العنصر اليهودي هو أسوأ عناصر العرق السامي؛ هدفه التسلط على العالم واستعباد الشعوب الأخرى، ... اليهودية تتصف بصفات ضارة غير اجتماعية خصوصاً عندما تنشط في السياسة أو الصحافة". واستنتج البريطاني هوستون تشامبرلين Houston Chamberlain الذي عاش في ألمانيا، في كتابه "أسس القرن التاسع عشر The Foundations of the Nineteenth Century" أن تاريخ المدينة أي ألمانيا عبارة عن صراع بين

[61] محمد إدريس، **الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية** (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 1995)، ص 84.

[62] المرجع نفسه، ص 27.

الآريين الصديقين والساميين، تزامن ذلك مع ظهور كتاب برتوكولات حكماء صهيون The Protocols of the Elders of Zion الذي يدعي واضعوه بوجود زعامة يهودية عالمية تدير العالم، وهكذا بدأت بوادر اللا سامية بالظهور في محاكمة درايفوس Dreyfus، وهو ضابط أركان فرنسي يهودي اتهم زوراً بالخيانة سنة 1894، رافقها مشاعر كراهية كبيرة؛ أدين ثم برئ جزئياً وصدر عنه عفو[63].

يرى صبري جريس في كتابه تاريخ الصهيونية (1862–1948)، أن هنالك عدة أسباب قادت لظهور اللا سامية من أهمها[64]:

1. تحميل المسيحية لليهود مسؤولية قتل المسيح.
2. سيطرة رأس المال اليهودي.
3. سيطرة اليهود على الإعلام.
4. اشتراك اليهود في الحركات الثورية.
5. شجب الديانة اليهودية من قبل البعض من خلال شجب الدين عامة والمسيحية خاصة، واعتبار أنه لا يمكن دمج اليهودي بالمجتمع.
6. هجرة اليهود إلى أوروبا الغربية مما أدى لمزاحمة السكان الأصليين.

ويرى المسيري أن البيئة التي ظهرت فيها المسألة اليهودية تتلخص بالتالي[65]:

1. فشل المسيحية الغربية في صياغة رؤية محددة تجاه الأقليات بشكل عام والجماعات اليهودية على وجه الخصوص، فالكاثوليكية Catholic تبنت

---

[63] صبري جريس، **تاريخ الصهيونية (1862–1948)** (قبرص: مركز أبحاث م.ت.ف، 1981)، ص 45–47.

[64] المرجع نفسه، ص 47–49.

[65] عبد الوهاب المسيري، **مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي** (بيروت: دار الفكر، 2003)، ص 69–86.

أن اليهود قتلة المسيح، أما البروتستانت فقالوا إن اليهود أداة للخلاص بعد عودتهم لفلسطين.

2. تبني العقيدة الألفية؛ في آخر الزمان وبعد عودة اليهود لفلسطين سيأتي المسيح المنتظر ويحكم العالم لمدة ألف عام.
3. تحويل الغرب لليهود كأداة وجماعة وظيفية؛ لا ينظر لها في ضوء إنسانيتها وإنما في ضوء نفعها للمجتمع، مثال: حلت البنوك مكان اليهودي المرابي.
4. تعثر التحديث في شرق أوروبا وخصوصاً في روسيا بسبب: سرعة معدلات النمو الاقتصادي وبالتالي لم يتأقلم اليهود مع النظام الجديد، وعزلة اليهود وعدم اندماجهم، ثقافة "الغيتو Ghetto".
5. حدوث انفجار سكاني بين يهود شرق أوروبا في منتصف القرن الـ 19 مما دفع مئات الألوف للهجرة إلى أوروبا الغربية مما أثر على الاقتصاد.
6. سكن اليهود في مناطق حدودية متنازع عليها مما أضعف ولاءهم القومي.
7. تكلس اليهودية الحاخامية وعدم مسايرتها لروح العصر.
8. ظهور قيادات يهودية مثقفة فاقدة لهويتها اليهودية ولكنها لم تكتسب هوية غربية.

يستنتج جريس في كتابه أن آراء اللا ساميين قد التقت مع الأفكار الصهيونية، حيث نجد أن أبرز أفكار اللا ساميين كالتالي[66]:

1. اليهود (دين وقومية وعرق).
2. لا يمكن أن يتعايش اليهود مع الأوروبيين.
3. يجب عزل اليهود.
4. يجب إقامة دولة لليهود في الشرق حيث أصولهم.

[66] صبري جريس، **تاريخ الصهيونية (1862–1948)**، ص 50.

ومن ثم كان الحل الصهيوني المقترح للمسألة اليهودية جزء لا يتجزأ من العملية الاستعمارية الغربية. فبحسب أوسكار ب. رابينوفيش Oscar B Rabinovitch اتفق الاقتراح الصهيوني مع الصيغة الاستعمارية الأوروبية بواسطة تحويل تيار المهاجرين اليهود من إنجلترا إلى إفريقيا وآسيا بحيث تبني الصهيونية موقعاً مهماً لبريطانيا وطرقها عن طريق إنشاء مركز يهودي مستقل[67]، فنجد أن وزير الخارجية البريطاني آرثر بلفور Arthur Balfour، الذي وعد اليهود بوطن قومي في فلسطين، كان محسوباً على اللا ساميين حيث كان هدفه منع اليهود من الهجرة إلى بريطانيا، وتوجيههم إلى الشرق من أجل ضمان سيطرة بريطانيا الاستعمارية لفترة طويلة[68]، وحتى نابليون بونابرت الذي دعا الصهاينة إلى الاستيطان في "بلاد أجدادهم" يُعدُّ من أهم المعادين لليهود[69].

4. الاستشراق واختراع شعب و"أرض إسرائيل":

بدأ ذلك بنداء بونابرت لليهود في أثناء حملته على مصر والشام حيث حثهم على السير وراء فرنسا حتى يتسنى استعادة العظمة الأصلية لبيت المقدس، ووعد بأنه سيعيد اليهود إلى الأرض المقدسة إذا ساعدوا قواته[70]، وخاطبهم بقوله: "سارعوا؛ هذه اللحظة المناسبة التي قد لا تتكرر لآلاف السنين للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم، تلك

---

[67] عبد الوهاب المسيري، **الأيدلوجية الصهيونية**، ص 43.

[68] Raja Shehadeh, Review of *From Coexistence to Conquest: International Law and the Origins of the Arab-Israeli Conflict (1891-1949)*, by Victor Kattan, site of Middle East Policy Council, http://bit.ly/1Pw5PSq

[69] عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية**، ص 14.

[70] Nahum Sokolov, *History of Zionism*, 1600-1918, vol.1 (New York : KTAV Publishing House, 1964), p. 63.

الحقوق التي سلبت منكم لآلاف السنين وهي وجودكم السياسي كأمة بين الأمم"[71]. لقد تبنت حملة بونابرت طروحات كتاب "وصف مصر Description of Egypt"، الذي كتبه المستشرقون الفرنسيون المرافقون للحملة، من تشديد الادعاء بأن اليهود هم ورثة فلسطين الشرعيون وعلى إعادة إنشاء "مملكة القدس القديمة"[72]، مما دفع الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن Chaim Weizmann إلى وصف نابليون في رسالته لتشرتشل Churchill بأنه: "أول الصهاينة العصريين من الأغيار"[73]. في هذا السياق نجد أيضاً مشروع المستشرق أنكتيل ديبرون Anquetil–Duperron (1731–1805) الرامي إلى إيجاد مرتكز يهودي في المنطقة، إذ قام ديبرون بكثير من الرحلات ليبرهن على وجود "شعب الله المختار" في ماضي فلسطين وحاضرها عبر تتبع أصول اليهودية[74].

التقت أفكار بعض المستشرقين كالفرنسي ألفونس دي لامارتين Alphonse de Lamartine (1790–1869) مع الصهيونية بأن فلسطين صحراء خاوية تنتظر من يزرعها، وأن سكانها من الرحل الذين لا قيمة لهم ولا حقّ لهم فعلي في الأرض[75]، وربما اعتمد الصهيوني ماكس نوردو Max Nordau على هذا الرأي عندما أطلق عبارته الشهيرة: "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"[76]، هذا الادعاء انعكس على الخطاب الصهيوني

---

[71] Franz Kobler, *Napoleon and the Jews* (Schocken Books, 1976), p. 57.

[72] شكري نجار، "لم الاهتمام بالاستشراق؟،" مجلة **الفكر العربي**، السنة 5، العدد 31، 1983، ص 67.

[73] Richard Crossman, *A Nation Reborn: The Israel of Weizman, Bevin and Ben Gurion* (London: Hamish Hamilton, 1960), p. 130.

[74] شكري النجار، "لم الاهتمام بالاستشراق؟،" ص 67.

[75] إدوارد سعيد، **الاستشراق/ المفاهيم الغربية للشرق**، ص 437.

[76] بول فندلي، **الخداع**، ترجمة وتحقيق محمود زايد (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1993)، ص 25.

وبشكل واضح في تصريح رئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير Golda Meir (1969–1974): "لا يوجد شعب فلسطيني"[77]. ولم يقتصر الأمر على إنكار وجود شعب فلسطيني، بل تعداه إلى إنكار الاسم التاريخي لفلسطين، فها هو المستشرق برنارد لويس يدعي بأن الاسم التاريخي لفلسطين "بلسطينا" لم يكن متعارف عليه بين اليهود وأن الاسم المتعارف عليه هو "أرض إسرائيل"[78].

عملت الصهيونية على بناء وطن قومي لليهود، ولم تكن مصرّة في بداياتها على الاستيطان في فلسطين، مع تفضيلها لذلك بسبب وجود الرابط التاريخي، بحسب ما ذكر هرتسل في كتابه "الدولة اليهودية The Jewish State" حيث طرحت الأرجنتين[79]. الدافع الأساسي لاختيار فلسطين على يد الصهيونية كموقع للاستيطان وتفضيلها عن الأرجنتين أو أوغندا كان بحسب هرتسل "قوة الأسطورة، أي الاسم في حدّ ذاته"[80].

ثمة إجماع بين الحاخامات الأرثوذكس على أن تعبير "الشعب اليهودي" في اليهودية تعبير ديني، يشير إلى جماعة المؤمنين المخلصين الذين يتوجهون بإيمانهم إلى الله الواحد، بل إن انتماءهم مشروط بمدى طاعتهم لله[81]، وهذا ما

---

[77] إدوارد سعيد، **تعقيبات على الاستشراق**، ترجمة وتحرير صبحي الحديدي (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1996)، ص 111.

[78] Bernard Lewis, Palestine: On the History and Geography of a Name, *The International History Review*, vol.2, no.1, Jan 1980, p.1, http://www.jstor.org/stable/40105058?seq=1#page_scan_tab_contents

[79] ثيودور هرتسل، **الدولة اليهودية**، ترجمة موقع الجامعة الإسلامية بغزة، ص 19، انظر: http://bit.ly/1ZoQRgj

[80] Raphael Patrai, *The complete Dairies of Theodore Herzl*, vol.1, Trans Harry Zohn (New York: Herzl Press and Thomas Yoseloff,1960), p. 56.

[81] عبد الوهاب المسيري، **الأيدلوجية الصهيونية**، ص 116.

صرح به الحاخام الأكبر للطائفة اليهودية في بريطانيا سنة 1909 بقوله: "منذ تحطيم الهيكل وانتشار اليهود في العالم، فإنهم لا يشكلون أمة بل نحن طائفة دينية"[82]. لقد استخدم التناخ كنص مشكل لهوية وعقيدة اليهود بعدما حرر ونشر في وسط جماعة المؤمنين التي كانت وبحق في أمس الحاجة له[83]، وهذا ما يؤكده الحاخام ساديا هاجاون الذي عاش في القرن العاشر بقوله "شعبنا هو شعب بسبب التوراة"[84]، حيث يصف اليهود أنفسهم كأمة دينية.

تزامن ظهور الصهيونية مع انتشار الحركات القومية، التي كانت مبنية إما على النموذج القبلي واللصيق بالطبيعة والأرض أو النموذج الاقليمي السياسي وهو أقل ارتباطاً بالأرض وأكثر ارتباطاً بالدولة، لم يجد مفكري الصهيونية ضالتهم في كلا النموذجين فقام سيمون دوفنوف Simon Dubnov بابتكار القومية اليهودية بالاعتماد على النموذج الروحي المستقل عن الطبيعة لأن وجوده يستند أساساً إلى الوعي بالذات التاريخية؛ حيث يرى دفنوف أن اليهود ينتمون لهذا النموذج أو بلغة أخرى قومية الشتات[85].

يعدُّ مفهوم الشعب غير دقيق، حيث يدل على جماعة اجتماعية تحمل مزايا مشتركة على مستوى من الأهمية يكفي لبلوغ حدّ أدنى من الوحدة والاستقلالية، أما الشك في طبيعة هذه المزايا (لغة، وثقافة، وتاريخ، وموقع

---

[82] يعقوب الإبراهيم، إعلان بلفور الحلقة 1–3، **الشرق الأوسط**، 2015/12/27، انظر: http://bit.ly/1ZwqdUC

[83] شلومو ساند، **اختراع الشعب اليهودي**، ترجمة سعيد عياش، ط 2 (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، 2013)، ص 103.

[84] إسرائيل شاحاك، **تاريخ اليهود وديانتهم**، ص 51.

[85] Simon Rabinovitch, *Alternative to Zion*, 2007, p. 55, http://bit.ly/1mW6zUf

جغرافي) وبالتالي الأساس الموضوعي أو الذاتي لهذا المفهوم (هل يوجد شعب بذاته أو لاعتقاده أنه كذلك بتأثير الممارسات الاجتماعية) فيصعبان عملانيته في العلوم الاجتماعية. في المقابل، نرى أن الاستخدام الأيديولوجي لمفهوم الشعب هو أكثر شيوعاً، إما لتسليمه مقاليد السيادة، أو لتشريع كل ممارسة تطالب باستقلاله أو خروجه من مجموعة وطنية مبنية مسبقاً[86].

قامت عملية اختراع الشعب اليهودي على ركنين أساسيين، وهما فكرة الشتات اليهودي وبأن اليهودية بقيت محصورة في العرق الذي اعتنقه في البداية، الدلالة الرئيسية المتوخاة لهذا الادعاء هي أن الشتات الذي رحل إلى مناطق مختلفة من العالم وكُتب له البقاء يعود من ناحية جذوره العرقية والقومية إلى القبائل اليهودية الأصلية التي كانت في فلسطين وطردت منها، وأنه لم تدخل اليهودية أجناس وقوميات أخرى أثرت في نقاء العرق اليهودي. وقد تمّ تفنيد هذا الادعاء على يد جمال حمدان في دراسته القيمة التي توصلت إلى أن اليهود الحاليين ليسوا من بني إسرائيل؛ فيهود العالم اليوم مختلطون في جملتهم اختلاطاً يبعدهم عن أيّ أصول إسرائيلية فلسطينية قديمة، ولا يوجد رابط أنثروبولوجي بين الجهتين، والرابط الوحيد هو رابط الدين[87]. وهذا ما يقر به هرتسل ضمنياً في معرض انتقاده لليهود المندمجين في أوروبا بسبب وجود الزواج المختلط في عدة دول أوروبية، خصوصاً في المجر[88]، أيضاً قام الكاتب الإسرائيلي شلومو ساند Shlomo Sand في كتابه "اختراع الشعب اليهودي The Invention of the Jewish People" بتفكيك

---

[86] غي هرميه وآخرون، **قاموس علم السياسة والمؤسسات السياسية**، ترجمة هيثم اللمع (بيروت: مجد، 2005)، ص 252.

[87] جمال حمدان، **اليهود أنثروبولوجيا** (القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1967)، ص 90.

[88] ثيودور هرتسل، **الدولة اليهودية**، ص 8.

هذا الادعاء من خلال نفي ما يسمى بالشتات اليهودي الذي تقف وراءه فكرة طرد الرومان لليهود سنة 70 للميلاد بعد تدمير الهيكل، وبدحض الادعاء بأن الدين اليهودي لم يكن ديناً تبشيرياً بل بقي محصوراً في العرق الذي اعتنقه منذ بداياته[89].

5. تقاطع المصالح بين الاستعمار والصهيونية:

ظهرت الحاجة الغربية لمعرفة الشرق الإسلامي وخصوصاً من الناحية الجغرافية والاجتماعية للتعرف على موارد الثروة من جهة، ومصادر التوزيع للإنتاج الأوروبي من ناحية أخرى، لذلك وجدنا عدداً كبيراً من المستشرقين يركزون على دراسات الجدوى الاقتصادية لبلادهم وخصوصاً في القرنين التاسع عشر والعشرين[90].

يميز المؤرخون عادة بين نوعين من الاستعمار:

1. استعمار المرحلة الأولى المرتبطة بالرأسمالية المركانتيلية Mercantilism Capitalis، التجارية، الذي تركز في النصف الغربي للكرة الأرضية والجزر الاستوائية، وكان الهدف منه زيادة قوة وثروة الدولة المستعمرة من خلال الحصول على المواد الخام من ذهب وفضة ومنتجات استوائية، ولم يكن الاستيطان أحد أهدافه الأساسية.
2. استعمار ما بعد سنة 1870، والذي تركز في إفريقيا وآسيا بهدف خدمة بعض طبقات المجتمع وفئاته عن طريق تزويدهم بالأسواق لبضائعهم بالإضافة للبحث عن المواد الخام، وبالتالي سعى الاستعمار في هذه المرحلة لتغيير البنية الاجتماعية للمجتمعات التابعة كي تصبح تابعة للحلقة

[89] شلومو ساند، **اختراع الشعب اليهودي**، ص 179–233.

[90] محمد ادريس، **الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية**، ص 30.

الرأسمالية الإمبريالية. حاجة دول أوروبا للأسواق أفاد الصهيونية كون فلسطين ومصر مدخل لهذا المسرح الجديد[91].

التعرف على الجذور الحضارية لنوعي الاستعمار الاستيطاني التقليدي والإحلالي قد يكون أمراً له أهميته، إذ يبدو أن النوع التقليدي في الجزائر وأنجولا قد نشأ في الدول الكاثوليكية، بينما تعود جذور النوع الإحلالي في جنوب إفريقيا والولايات المتحدة إلى الدول البروتستانتية. وسيقودنا هذا إلى التساؤل عما إذا كان التفسير الحرفي للعهد القديم وهو التفسير الذي يسود بين كثير من البروستانت يوجِد حالة عقلية تسهل عملية نقل السكان وتجعلها أمراً طبيعياً لأنها تتم باسم الأوامر المقدسة التي ترد من علٍ؟ قد يمكن القول إن الكنيسة القومية أي الكنيسة القاصرة على مجموعة بشرية لها الانتماء العرقي نفسه أو الإثني كما هو الحال مع الكنيسة الهولندية الإصلاحية في جنوب إفريقيا التي لا تسمح للسود بالانضمام إليها، مثل هذه الكنيسة تضفي قدراً من القداسة على الأفعال التي يأتيها أعضائها وتقدم هي التبريرات الدينية التي تكون عادة ذات طابع إنجيلي، فتسوِّغ عمليات الطرد بأن الآخرين يقعون خارج نطاق الخلاص والتوبة، أما الكنيسة العالمية أي الكنيسة التي تفتح أبوابها لأي إنسان فهي تمنح المؤمن سواء أكان من المستوطنين أم من السكان الأصليين حقوقاً معينة بغض النظر عن انتمائه القومي أو العنصري وهو ما يجعل من الصعب على المستوطنين الذين يتبعون الكنيسة العالمية تبني النمط الاحلالي من الاستعمار[92].

تقاطعت مصلحة الاستعمار مع الصهيونية، فحاول اللورد بلمرستون Palmerston، وزير خارجية بريطانيا سنة 1840، إقناع السلطان العثماني

[91] عبد الوهاب المسيري، **الأيدلوجية الصهيونية**، ص 30.

[92] المرجع نفسه، ص 55.

بفوائد السماح لليهود بالعودة والاستيطان في فلسطين، بسبب الأموال التي سيحضرونها معهم كونهم أثرياء وبالتالي ستزداد ثروات السلطان، ومن ناحية أخرى سيكونون بمثابة حاجزاً بشرياً أمام محمد علي[93]. وفي سنة 1860 أشار أرنست لاهاران Ernest Laharanne، سكرتير نابليون الثالث الخاص، في كتيب بعنوان "المسألة الشرقية الجديدة The New Eastern Question" إلى المكاسب الاقتصادية التي ستعود على أوروبا من خلال فتح أسواق جيدة في حال استقر اليهود في فلسطين وعودة الدولة اليهودية القديمة[94].

في السياق نفسه قام البريطاني جورج جاولير George Gaulir، الذي تولى منصب حاكم في جنوب إفريقيا، وزار فلسطين سنة 1849، بوضع خطة لإعادة اليهود إلى "بلدهم" هادفاً من وراء ذلك إلى إيجاد منطقة عازلة بين سورية ومصر[95]. التقطت الصهيونية الفكرة فقام هرتسل بالترويج لها في حال أقيمت الدولة في فلسطين بقوله: "من هنالك سنشكل جزءاً من استحكامات أوروبا في آسيا كموقع أمامي للحضارة في مواجهة البربرية"[96]، ويبدو أن مؤتمر لندن الاستعماري الذي عقد سنة 1907 أخذ بخطة جاولير؛ حيث أوصى رئيس الوزراء البريطاني بـ"إقامة حاجز بشري قوي وغريب

---

93 Alexander Scholch, Britain in Palestine, 1838-1882: The Roots of the Balfour Policy, *Journal of Palestine Studies*, vol. 22, no.1, 1992/93, p. 39, http://www.palestine-studies.org/jps/fulltext/39775

94 Abu-Lughod Ibrahim, and Abu-Laban Baha, *Settler Regimes in Africa and the Arab World: The IIlusion of Endurance* (Willmette, Illinois: Medina Univeristy Press, 1974), p. 22.

95 شلومو ساند، **اختراع أرض إسرائيل**، ترجمة انطوان شلحت وأسعد زعبي (رام الله: مدار، 2013)، ص 176.

96 ثيودور هرتسل، **الدولة اليهودية**، ص 19.

على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط؛ بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة، وصديقة للدول الأوروبية ومصالحها"[97].

حينما احتاجت بريطانيا الاستعمارية مستوطنين بيض لتشجيع التجارة في بلاد الشام، ومن ضمنها فلسطين، طلبت من الصهاينة تجنيد اليهود لتنفيذ هذه المهمة عبر الاستيطان في فلسطين، وهذا ما صرح به الأيرل شافتسبريEarl of Shaftesbury: "من هم أكثر الناس في العالم احتراماً للتجارة وهل يجد اليهودي موقعاً أو مجالاً أفضل من سوريا لتنمية نشاطه؟ أليس لبريطانيا مصالحها الخاصة في تحقيق التغييرات الضرورية؟. ولذا أقترح أن تدعم إنجلترا "القومية اليهودية" وتساندها"[98]، كما أعد الوزير البريطاني اليهودي هربرت صموئيل Herbert Samuel (1906–1915) بعد الحرب العالمية الأولى تقريراً بعنوان "عن مستقبل فلسطين About The Future of Palestine"؛ تحدّث فيه عن الصهيونية والفوائد الاستراتيجية التي ستجنيها بريطانيا عبر تشجيع المهاجرين اليهود على الاستقرار في فلسطين حتى يشكلوا نسبة عالية من السكان وبذلك تضمن بريطانيا بقاء فلسطين تحت هيمنتها[99].

قام وزير الخارجية البريطاني أرثر بلفور بتبرير استعمار الشرق من خلال النظرة الاستشراقية بقوله:

---

[97] "مؤتمر كامبل بنرمان"، توصية مؤتمر لندن، وثائق خاصة بالقضية الفلسطينية، موقع مؤسسة الدراسات الفلسطينية، انظر: http://www.palestine-studies.org/sites/default/files/Recommendation_of_the_London_Conference.pdf

[98] Nahum Sokolov, *History of Zionism*, *1600-1918*, pp. 206-207.

[99] يعقوب الإبراهيم، إعلان بلفور الحلقة 1–3، **الشرق الأوسط**، 2015/12/27.

انظروا أولاً إلى حقائق القضية: إن الأمم الغربية ما إن يبدأ ظهورها في التاريخ حتى تظهر بدايات قدرتها على الحكم الذاتي.... وهي القدرة الجديرة بالتقدير في ذاتها.... ثم انظروا إلى تاريخ الشرقيين برمته فيما يسمى بصفة عامة الشرق ولن تجدوا آثاراً تنبئ عن الحكم الذاتي إطلاقاً، إذ مرت كل قرونهم العظمى (ولقد كانت بالغة العظمة) في ظلّ الحكومات الاستبدادية والحكم المطلق، كما كانت كل إسهاماتهم الحضارية العظمى (ولقد كانت حقاً عظمى) في ظلّ ذلك اللون من الحكومة.....، هل تعود ممارسة هذه الحكومة المطلقة من جانبنا بالخير على هذه الأمم العظيمة والتي أعترف بعظمتها؟. أعتقد أنها تعود بالخير عليها وأعتقد أن الخبرة قد أثبتت أنها تمتعت في ظلها بحكومات أفضل كثيراً مما شهدته على امتداد تاريخ العالم كله، وهي ليست مفيدة لها وحدها لكنها ولا شكّ مفيدة للغرب المتحضر برمته[100].

يدّعي بلفور بأن الشرقيين أغبياء وقاصرين لا يقدرون على حكم أنفسهم وذلك من أجل تبرير احتلال أراضيهم واستعمارها، فهو يصرح في موضع آخر بأن: "السكان الأصليين لفلسطين يتمتعون بالأولوية في امتلاك أراضيهم، ولكنها أولوية لا تداني على الإطلاق السلطة التي يتمتع بها المحتل في الاحتفاظ بهذه الأرض"[101].

مع انبعاث الحركة القومية العربية المعارضة للحكم العثماني اتجه الصهاينة إلى الأتراك ناصحين إياهم بإنشاء مقاطعة يهودية في فلسطين لإيجاد توازن مع 600 ألف عربي في فلسطين ومع الدول المحيطة بها[102]،

[100] إدوارد سعيد، **الاستشراق/ المفاهيم الغربية للشرق**، ص 86 و87.

[101] المرجع نفسه، ص 388.

[102] عبد الوهاب المسيري، **الأيدلوجية الصهيونية**، ص 46.

حيث حذر حاييم وايزمن في رسالته لتشرتشل[103]، القوى الاستعمارية من الاعتماد على الولاء العربي—عقب ثورة الشريف حسين ضدّ الدولة العثمانية—وبأن عليها الاعتماد على اليهود الموالين للغرب[104]. أكدّ وايزمن على ذلك في رسالة لصديقه بقوله: "إذا دخلت فلسطين في نطاق النفوذ البريطاني، وإذا شجعت بريطانيا عملية استيطان اليهود هناك، وأصبحت دولة خاضعة لبريطانيا، فسيصبح هنالك (خلال عشرين إلى ثلاثين عاماً) مليون يهودي سيقومون بتطوير البلد وإعادتها للحضارة ويشكلون حماية فعالة لقناة السويس"[105].

حتى يومنا هذا لم تتوقف الصهيونية عن ممارسة دور مخلب القط في الشرق الأوسط لصالح الدول الاستعمارية، فها هو يعقوب ميريدور Ya'akov Meridor وزير التخطيط والتنسيق الاقتصادي (1982–1984) يصرح في حديث له في الإذاعة التابعة للجيش الأمريكي أنه لولا وجود "إسرائيل" كقاعدة وكمنطقة نفوذ وكحليف للولايات المتحدة لاضطرت الأخيرة لبناء عشر حاملات طائرات[106].

---

[103] رسالة كتبت في شهر تموز/ يوليو 1921 لكنها لم ترسل إلى تشرتشل.

[104] Richard Crossman, *A Nation Reborn: The Israel of Weizmann, Bevin and Ben- Gurion* (London: Hamish Hamilton, 1960), pp. 131-132.

[105] Abu-Lughod Ibrahim Abu-Laban Baha, *Settler Regimes in Africa and the Arab World: The IIlusion of Endurance*, pp. 183-184.

[106] عبد الوهاب المسيري، **الأيدلوجية الصهيونية**، ص 65.

المبحث الثالث: من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا[107]

يرى إدوارد سعيد أن الاستشراق يشبه العداء للسامية، ويذهب إلى أن الاستشراق عبارة عن الفرع الإسلامي للعداء للسامية[108]، حيث نظر كثير من المستشرقين للنبي محمد عليه الصلاة والسلام كدجال؛ واتهموه بنشر تنزيل زائف[109]، فانطوى فهم الإسلام عند الغرب على "محاولة تحويل تنوعه إلى جوهر وحداني غير قابل للتطور، وقلب أصالته إلى نسخة منحطة من الثقافة المسيحية، ومسخ شعوبه إلى كاريكاتورات مثيرة للرعب"[110]؛ فها هو المستشرق برنارد لويس يستند في كتابه "ثورة الإسلام" على دعوة السياسيين في مصر سنة 1945 لتنظيم مظاهرات بمناسبة ذكرى وعد بلفور وما رافق ذلك من مهاجمة الكنائس الكاثوليكية والأرمنية والأرثوذكسية اليونانية؛ ليصل إلى نتيجة مفادها أن الاسلام ظاهرة جماهيرية مخيفة تستهدف اليهود والنصارى على حدّ سواء[111]، وفي السياق نفسه نجد المستشرق شالوم زاوي Shalom Zaoui يؤكد على ذلك بقوله: "يفرق المسلمون بين دار الإسلام ودار الحرب، ويجب أن تسلم كل الشعوب بالسيف والجهاد إذا لم يقبلوا دين محمد طواعية"[112].

---

[107] مصطلح حديث نسبياً، تم نحت المصطلح الذي استعير في جزء منه من علم الاضطرابات النفسية للتعبير عن ظاهرة الرهاب أو الخوف المرضي من الإسلام. انظر: خالد سليمان، ظاهرة الإسلاموفوبيا، مركز الشرق العربي، في: http://bit.ly/20gv5Rz

[108] إدوارد سعيد، **الاستشراق/ المفاهيم الغربية للشرق**، ص 79.

[109] المرجع نفسه، ص 128.

[110] إدوارد سعيد، **تعقيبات على الاستشراق**، ص 28.

[111] إدوارد سعيد، **الاستشراق/ المفتهيم الغربية للشرق**، ص 482.

[112] محمد إدريس، **الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية**، ص 126.

يرى سعيد أن جذور الخوف من الإسلام "الإسلاموفوبيا" في الغرب وخصوصاً في الولايات المتحدة تعود إلى فترة حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973 بين مصر و"إسرائيل"، عندما هددت السعودية بقطع البترول، فتسبب ذلك برفع أسعار الوقود، فتم تصوير العربي المسلم كإنسان عنيف، بل وذهب بعض المستشرقين إلى القول بأن العرب سفاكون للدماء وأن العنف والخداع كامنان في الجينات الوراثية العربية، كما ادعى أحد المستشرقين بأن الرابط بين أهل الشرق الأوسط هو كراهية وعداء اليهود و"أمة إسرائيل"[113]. بينما يرى آخرون أن ظاهرة الإسلاموفوبيا قد انتشرت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في خضم بحث الغرب عن عدو بديل، حيث خرجت الصحافة الغربية حينها بعناوين متشابهة تقول بأن: "التهديد الأحمر ذهب وجاء الإسلام"[114]، تعزز ذلك بشكل "علمي" بعد تبني بعض الباحثين لهذه الفكرة أمثال فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama، وهو منظّر سابق للمحافظين الجدد Neoconservatism[115]، وتلميذ ألان بلوم Allan Bloom تلميذ اليهودي الأمريكي من أصول ألمانية ليو شتراوس Leo Strauss، مؤسس فكر المحافظين الجدد في الولايات المتحدة[116]، في كتابه "نهاية التاريخ The End of History" والذي أعلن فيه أن الإسلام يعدُّ المنافس الأيديولوجي للديموقراطية الليبرالية بعد انهيار الاتحاد

[113] إدوارد سعيد، **الاستشراق/ المفاهيم الغربية للشرق**، ص 439.

[114] عبد الله محمد، **مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين**، ص 45.

[115] تراجع فوكومايا فيما بعد عن تأييد فكر المحافظين الجدد وأعلن عن ذلك في كتابه **أمريكا على مفترق الطرق** المنشور سنة 2006.

[116] Terence Ball, *Neoconservatism*, Encyclpaedia Britannica, http://www.britannica.com/topic/neoconservatism

السوفياتي[117]، تبعه في ذلك المفكر صامويل هنتنجتون Samuel Huntington في كتابه "صراع الحضارت Clash of Civilizations"، الذي اعتمد فيه على آراء المستشرقين، وخلص إلى نتيجة مفادها أن الصراع الأيديولوجي بين الشيوعية والليبرالية قد انتهى وأن الصراع القادم سيكون صراعاً بين الحضارات ومن ضمنها الحضارة الإسلامية وخصوصاً في الجانب الأخلاقي والديني لكل أمة[118]. هذه الأجواء هيأت الساحة السياسية في الولايات المتحدة لتولي التيار اليميني الممثل بالمحافظين الجدد أهم مواقع التأثير، وخصوصاً في فترة إدارة الرئيس جورج بوش الابن George W. Bush، فانعكس ذلك على علاقات الولايات المتحدة بالعالم الإسلامي واستغلت حادثة 11 أيلول/ سبتمبر كذريعة لاحتلال وتدمير بلدين إسلاميين؛ أفغانستان والعراق.

استغلت الصهيونية مخاوف الغرب من الإسلام، فعملت على ترسيخ هذه المخاوف كي تطرح نفسها كحليف للغرب ضدّ الإسلام، وهذا ما وضحه بول فندلي Paul Findlay في كتابه "لا سكوت بعد اليوم No Silence After Today"[119]، وفي سنة 1992 صرَّح شلومو جازيت Shlomo Gazit، رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية (أمان)، لصحيفة يديعوت Yedioth بأن: المهمة الرئيسية لـ"إسرائيل" لم تتغير قطّ منذ انهيار الاتحاد السوفياتي، وتظل ذات أهمية حاسمة، وإن الموقع الجيوستراتيجي لـ"إسرائيل" في مركز

---

[117] فرانسيس فوكوياما، **نهاية التاريخ وخاتم البشر**، ترجمة حسين أمين (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1993)، ص 56.

[118] صامويل هنتنجتون، **صدام الحضارات/ إعادة صناعة النظام العالمي**، ترجمة طلعت الشايب، ط 2 (الإسكندرية: منتدى مكتبة الاسكندرية، 1999)، ص 181.

[119] بول فندلي، **لاسكوت بعد اليوم / مواجهة الصور المزيفة عن الإسلام في أميركا**، ط 5 (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2010)، ص 11.

الشرق الأوسط العربي/ المسلم، يجعل القدر المسبق لـ"إسرائيل" أن "تكون الحامي المخلص للاستقرار في جميع الدول المحيطة بها، هو حماية الأنظمة القائمة؛ بمنع أو إيقاف عمليات النزوع للتطرف وقطع الطريق أمام توسع الحماس الأصولي الديني"[120].

وها هو وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيريس Shimon Peres يوضح الدافع الأساسي لتوقيع اتفاق أوسلو وهو السعي لبناء نظام إقليمي جديد من أجل مواجهة انتشار المدّ الإسلامي "الأصولي"[121].

استفحلت ظاهرة الإسلاموفوبيا عقب هجوم 11 أيلول/ سبتمبر الذي تبناه تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن، وقامت الصهيونية باستغلال الحدث كي تمرر نظرية مفادها بأن "إسرائيل" تحمل القيم الأمريكية نفسها (الديموقراطية)، وتحارب الخصم نفسه وهو "الإرهاب الإسلامي". فتم تشبيه الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات بابن لادن[122]، في خطوة مكشوفة لإلصاق صفة "الإرهاب" بنضال الشعب الفلسطيني ضدّ الاحتلال، ونزع الشرعية عن مقاومته. تساوق السياسيون الأمريكيون مع هذه "الفكرة" فوجدنا الرئيس باراك أوباما Barack Obama يصرّح في خطابه أمام الأيباك AIPAC سنة 2009 بأن لدى أمريكا "قيم مشتركة" مع "إسرائيل" وأنهم شركاء في الحرب على الإرهاب[123]، وهذا ما أكدّ عليه الناطق باسم

---

[120] إسرائيل شاحاك، **تاريخ اليهود وديانتهم**، ص 45.

[121] شمعون بيريس، **الشرق الأوسط الجديد**، ترجمة محمد حلمي (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1994)، ص 62.

[122] قصي حامد، **الولايات المتحدة والتحول الديمقراطي في فلسطين** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009)، ص 120.

[123] خطاب أوباما لدى لجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية، موقع اليوتيوب، 2009/6/28، انظر: http://youtu.be/KJq6ykarsp0

رئيس الحكومة الإسرائيلية أوفير جندلمان Ofir Gendelman في معرض تعليقه عن طبيعة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية[124]. ومع كل هجمة تشنها التنظيمات الإسلامية المتشددة على الغرب تستغل الصهيونية الحدث لتؤكد على الفكرة نفسها؛ فها هو رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو يخاطب السفير الفرنسي عقب الهجوم الذي قام به تنظيم الدولة "داعش" في فرنسا سنة 2015 بقوله: "نحن صامدون ولن نسقط، رغم أن البرابرة يوقعون ضحايا في صفوفنا،.... نحن فخورون "بقيمنا" وصداقتنا وحريتنا،.... عندما تشخّص "القوى المتحضرة" المشكلة لن يبقى أمامها سوى الاتحاد من أجل القضاء على هذه الحيوانات، هذه الحيوانات لها اسم وهو الإسلام المتطرف،... نحن ملزمون بالوقوف معاً لنحارب الإسلام المتطرف"[125]، لاحظ استخدام نتنياهو في خطابه لمصطلح البرابرة ذو الدلالة التاريخية عند الغرب وحرصه على ربط العالم الغربي بـ"إسرائيل" لأنهما مشتركان بالقيم نفسها وبالعدو نفسه، وإشارته إلى أن الحرب عبارة عن حرب حضارات.

تقوم استراتيجية نتنياهو على استغلال هجمات "داعش" ضدّ أهداف غربية من أجل الربط بين الإسلام والإرهاب من جهة ومقاومة الإحتلال الإسرائيلي من جهة أخرى؛ فهو يدعي بأنّ "إسرائيل" والغرب يواجهان عدواً مشترك، حتى وصل به الأمر للادعاء بأنّ العمليات التفجيرية ناتجة عن طبيعة الإسلام العدائية وليس نتيجة الاضطهاد أو الاحتلال، ولا يتورع نتنياهو عن تضليل الرأي العام الغربي من خلال تشبيه محاولة "داعش"

---

[124] أوفير جندلمان، العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة قوية لأنها مبنية على قيم مشتركة، موقع اليوتيوب، 2015/3/3، انظر: http://youtu.be/uSkRHooFJEU

[125] موقع مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، 2015/11/18، انظر: http://www.pmo.gov.il/MediaCenter/Events/Pages/eventJpost181115.aspx (بالعبرية)

إقامة دولة الخلافة بمحاولة الفلسطينيين التخلص من الاحتلال وإقامة دولة فلسطينية؛ وقد عبر عن ذلك بشكل مباشر في تصريح له عقب هجمات بروكسل في 2016/3/23 بقوله: "إننا نخوض حرباً عالمية ضد الإرهاب، إنها حرب أبناء الحضارة ضد أبناء الظلام، يضرب الإرهاب في كل مكان: إنه يضرب باريس (حيث قتِل في مساء واحد 129 شخصاً)، كما أنه يضرب أنقرة وبروكسل حيث قتِل العشرات، وإسطنبول حيث قتِل أيضاً 3 من مواطنينا، وساحل العاج وكاليفورنيا وتل أبيب وأورشليم القدس والقرى والمدن في أرض "إسرائيل"، ولا تأتي الممارسات الإرهابية في كل هذه المواقع انطلاقاً من الشعور بالإجحاف أو بالإحباط، بل إنها تنجم عن العقيدة القاتلة والرغبة في القضاء على الخصم ووراثته، وسبق أن قلت مراراً وتكراراً إن الإرهاب لا ينبثق من الاحتلال أو اليأس بل من الأمل، أي من أمل مخرّبي داعش في أن يتمكنوا من إنشاء خلافة إسلامية على كامل الأراضي الأوروبية ومن أمل المخربين الفلسطينيين في أن يتمكنوا من إنشاء دولة فلسطينية على كامل الأراضي الإسرائيلية. يجب علينا العمل سوياً لحرمانهم من هذا الأمل. هذه نقطة الانطلاق الأهمّ لمحاربة الإرهاب. لذلك أكدتُ لمحاورَيَّ (رئيس الوزراء البلجيكي ووزيرة الخارجية للاتحاد الأوروبي) ضرورة إدانة الإرهاب في أي مكان وضرورة محاربته في أي مكان. ولا يوجد أدنى شك في أننا سنتتصر على الإرهاب لكن إذا تكاتفت جهود شعوب العالم فإننا سننتصر عليه بسرعة أكبر بكثير"[126].

تظهر المعطيات المتوفرة بأن ظاهرة الإسلاموفوبيا في الولايات المتحدة تمّ صناعتها على يد مجموعة من الصهاينة؛ وهذا ما أشار إليه بول فندلي في

[126] موقع مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي، 2016/3/23، نظر:
http://www.pmo.gov.il/Arab/MediaCenter/Events/Pages/spokrstatmemt230316.aspx
(بالعبرية)

كتابه "لا سكوت بعد اليوم"[127]. كما توصل بعض الباحثين الأمريكيين في تقرير تمّ نشره سنة 2011 إلى هذه النتيجة، ويشير التقرير إلى أن المولين لهذه الظاهرة هم عبارة عن سبع هيئات ومنظمات محافظة التوجه، وأغلبها منظمات غير ربحية تدعم مشاريع تعليمية وأخرى خيرية على الأغلب لا يعرفون بأن تبرعاتهم تذهب لتمويل صناعة الإسلاموفوبيا في أمريكا. هذه الملايين تمّ إنفاقها على ما يسمون بـ"الخبراء" مروّجي الشائعات الذين يلفقون أخباراً ومعلومات خاطئة عن الإسلام، عددهم خمسة أشخاص، وهم: فرانك جافني Frank Gaffney، وديفيد يروشلماي David Yerushalm، ودانيال بايبس Daniel Pipes، وروبرت سبنسر Robert Spencer، وستيفن إيمرسون Steven Emerson، وكلّهم محسوبون على التيارات الصهيونية في أمريكا. تلخيص رسالة هؤلاء "الخبراء" للشعب الأمريكي هي كالتالي: "الإسلام عبارة عن أيديولوجية عنيفة تسعى للسيطرة على الولايات المتحدة الأمريكية، مما يشكل خطراً على المجتمع الأمريكي لأنه يشجع على قتل اليهود والمسيحيين"، كما أشار البحث إلى المنظمات التي تشكلت وتفرّع منها عدة أفرع في عدد كبير من الولايات الأمريكية، واحدة من هذه المنظمات أنشأتها لبنانية مارونية تدعى بريجيت جابريال Brigitte Gabriel واسمها "افعل من أجل أمريكا Act for America". ويذكر التقرير كيف أنها صاحبة مقولة "إن الفرق بين العرب والمسلمين والإسرائيليين هو كالفرق بين الهمجية والتحضر، الفرق بين الديموقراطية والديكتاتورية، الفرق بين الخير والشر"، بالإضافة إلى منظمة باميلا جيلير Pamela Geller واسمها "أوقفوا أسلمة أمريكا Stop Islamization of America"، والتي نظّمت حملة لوقف بناء مركز إسلامي في مدينة نيويورك

[127] بول فندلي، **لا سكوت بعد اليوم/ مواجهة الصور المزيفة عن الإسلام في أميركا**، ص 86.

والمعروف باسم "بارك 51 أو Park 51"؛ بسبب قربه من مركزي التجارة العالميين اللذين تمّ تدميرهما في أحداث أيلول/ سبتمبر. وشنّت باميلا حملة منظمة قالت فيها: لا لمسجد أوباما، الإسلام يعني 1400 سنة من الاعتداءات والجريمة، إلا الاستسلام للشريعة، وإلى غيرها من عبارات الكراهية للإسلام، وهي صاحبة فكرة وضع ملصقات المترو في نيويورك التي تقول فيها: "عندما يتم تخييرك بين الشخص المتحضر والشخص الهمجي فعليك باختيار المتحضر، ساند إسرائيل واهزم الجهاد"[128].

أضحت ظاهرة الإسلاموفوبيا صناعة متكاملة لأطراف في الغرب تعود عليهم بالربح المادي والمعنوي، وتساعدهم في الوصول إلى السلطة، وإن على جثامين الأبرياء وغير الأبرياء؛ وذلك بحسب ناتان لين Nathan Lean مؤلف كتاب "صناعة الإسلاموفوبيا The Islamophobia Industry". درس لين المسألة تاريخياً وأثبت أن زرع الخوف في قلوب الأمريكيين ليس مسألةجديدة وإنما ذات تاريخ طويل، غير مشرف، ولا يرتكز إلى حقائق وإنما لهدف محدد، ويلاحظ أن الإسلاموفوبيا في الولايات المتحدة الأمريكية أقوى في 2012 مما كانت عليه قبل أحداث 11 أيلول/ سبتمبر، بل إن استقصاءات الرأي تبين أن معاداة الإسلام والخوف من المسلمين بعد مضي شهرين على ذلك التاريخ كانت أقل بكثير مما هي عليه الآن، وهذا ليس مصادفة بل نتاج حملة منظمة.

لا يقبل ناتان لين الادعاء بأن أعمال الاعتداء على المواطنين والمؤسسات الأمريكية في مختلف أنحاء العالم، إضافة إلى أخذ موظفي السفارة الأمريكية في طهران رهائن سبب ذلك الخوف الذي يغذيه اليمين الصهيوني المعادي

[128] Wajahat Ali and others, Fear, Inc, The Roots of the Islamophobia Network in America, August 2011, https://cdn.americanprogress.org/wp-content/uploads/issues/2011/08/pdf/islamophobia.pdf

لكل ما هو ليس صهيونياً، هو يرى أن الجذور تاريخية، ويرى أن أحد أهم جذورها يُعثر عليه في الفكر البروتستانتي المتطرف وغاية في المحافظة، والذي يكفِّر كل من هو ليس مثله، ومن ضمنهم المسيحية الكاثوليكية والشرقية، أي الأرثوذكسية. ويثبت صحة رأيه بالإشارة إلى حوادث عديدة وقعت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرون الماضية، ادعت بوجود مؤامرة عالمية عليها هدفها القضاء على المسيحية الصحيحة، أي البروتستانتية المتطرفة.

وينوه لين إلى دور بارز تقوم به قنوات تلفزيونية أمريكية ومنها محطة فوكس Fox Channel في التحريض على نثر بذور الفرقة والكراهية والهلع من المسلمين والآخر المختلف، عبر استقبالها قادة تلك التيارات والمؤسسات المصابة بهوس معاداة الآخر المختلف. لكن المؤلف في الوقت نفسه يشير إلى دور صحف يومية أمريكية معروفة في نثر بذور الكراهية ورُهاب المسلمين والإسلام، كل ذلك طبعاً تحت بند حرية التعبير والرأي المستقل والديموقراطية، كما يشير لين إلى الدور الأساسي الذي تمارسه بعض التجمعات والأحزاب وفي مقدمتها حزب الشاي The Tea Party، الذي أنتج بدوره عدداً من المنظمات والمؤسسات هدفها نشر رُهاب الإسلام والتحذير منهم والدعوة إلى تشجيع تنصيرهم ...إلخ، وينضم إلى مختلف هذه المجموعات مؤسسات وقوى صهيونية. ويلفت لين الانتباه إلى تحالف اليمين المؤيد لـ"إسرائيل" ودوره في نشر رُهاب المسلمين ودعم بناء المستعمرات في الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1967، وهذا كله متعلق بفكرة تأسيس دولة لليهود في فلسطين وتجميعهم هناك، هذه الفكرة المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالفكر البروتستانتي الألفي الذي انتشر مذعوراً بعد نجاح الثورة الفرنسية ورفعها رايات الحرية والعدالة والإخاء، التي أرعبت اليمين البريطاني فأطلق هوس اقتراب موعد الألفية ونهاية العالم وعودة المسيح بين شعبه وفي أرضه، أي في فلسطين.

يرى لين أن الجذور الحقيقية للصهيونية لم تكن يوماً يهودية وإنما بروتستانتية أصولية، وهذا ما يجمع رُهاب الإسلام باللوبي المؤيد للصهيونية و"إسرائيل" ويقدم لها الدعم كبرنامج سياسي – ديني متكامل.[129]

صناعة الإسلاموفوبيا في الغرب غير مقتصرة على اللوبي الصهيوني؛ بل أصبحت أشبه ما يكون بالتجارة الرائجة لكتاب وصحفيين وسياسيين يتخذون من الإسلاموفوبيا مادة للتربح والكسب السياسي، وتعدى الأمر كونه خوف من الإسلام إلى نوع من الهوس؛ ففي ألمانيا واجهت المستشارة أنجيلا ميركيل Angela Merkel احتجاجات من اليمين تحت شعار منع "أسلمة البلاد" عقب السماح لبضعة الآلاف من المهاجرين السوريين باللجوء إلى ألمانيا[130]، وفي فرنسا توقع الكاتب ميشال ولباك Michel Houellebecq في كتابه "سومسيون Soumission" (استسلام) تحول فرنسا إلى دولة إسلامية سنة 2022 بعد انتخاب رئيس من حزب إسلامي[131]، كما استغل دونالد ترامب Donald Trump، المرشح الرئاسي الجمهوري المحتمل، حادثة مقتل 14 أمريكياً على يد زوجين أمريكيين مسلمين، للدعوة إلى فرض حظر على دخول المسلمين للولايات المتحدة[132]. هذه الشواهد فيض من غيض لكثير من المؤشرات حول استفحال ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب والتي تتغذى على ممارسات بعض التنظيمات الإسلامية المتشددة.

---

[129] زياد منى، صناعة الإسلاموفوبيا، الجزيرة.نت، 2012/12/27، انظر: http://bit.ly/1niY2Lm

[130] ميركل أمام مأزق صعود اليمين المعادي للمهاجرين، **الشرق الأوسط**، 2014/12/17، انظر: http://bit.ly/1GsYomJ

[131] رواية فرنسية تصور تحول فرنسا إلى "دولة إسلامية" في 2022، موقع فرانس 24، 2015/9/7، انظر: http://f24.my/1i7qrlc

[132] هل يتصاعد العداء للمسلمين في أمريكا بعد تصريحات ترامب؟، موقع هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي)، 2015/12/9، انظر: http://bbc.in/1RX23BG

يرى سعيد أن الرأي "المعتمد" لدى المستشرقين بأن الشرقيين يفتقرون إلى تقاليد الحرية[133]، تجدد طرح الفكرة نفسها مع مزجها بالإسلاموفوبيا عقب انطلاق الانتفاضات العربية المطالبة بالحرية ضدّ الأنظمة الشمولية في سنة 2011 أو ما اصطلح عليه بـ"الربيع العربي"، فنجد "الخبير" برنارد لويس في مقابلة أجريت معه في تموز/ يوليو 2011 يرفض إجراء انتخابات حرة ونزيهة في العالم العربي؛ خشية من وصول الإسلاميين للحكم وهو ما سيكون كارثياً، مبرراً وجهة نظره بأن الديموقراطية ممارسة غربية نابعة من التاريخ الغربي[134]؛ وبالتالي فهي لا تصلح للعرب. يحاول لويس وأمثاله إخفاء المقصد الحقيقي لهذا الطرح من خلال الادعاء بأن الديموقراطية غير ملائمة للعرب والمسلمين؛ بينما يخفون خشيتهم من نشوء أنظمة ديموقراطية في الدول العربية ترعى مصالح شعوبها ولا تخضع للإملاءات الغربية. الفكرة نفسها عبَّر عنها عاموس جلعاد Amos Gilad، رئيس الدائرة الأمنية والعسكرية في وزارة الدفاع الإسرائيلية، في تشرين الأول/ أكتوبر 2013 عندما هاجم ثورات الربيع العربي خلال مؤتمر بالعاصمة الأمريكية واشنطن، وقال إن "إسرائيل" تفضل استقراراً يستند على نفوذ أمريكي بالشرق الأوسط بدل ديموقراطية تأتي بالإسلاميين[135].

يرى عبد الله محمد أن مدرسة الاستشراق الحديثة تقوم على ثلاثة محاور رئيسية وهي: تهديد المسلمين المتعصبين، ثم حتمية انتصار التغريب،

---

[133] إدوارد سعيد، **الاستشراق/ المفاهيم الغربية للشرق**، ص 373.

[134] برنارد لويس يقارن احتلال بريطانيا وروسيا لمصر: ما بين اللبن واللحم، موقع اليوتيوب، انظر: http://youtu.be/IQgHsOigfm0

[135] Amos Gilad, Israeli Security Policy in an Uncertain Middle East, The Washington Institute, 11/10/2013, https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/2013-schiff-memorial-lecture

وأخيراً "الحق الإسرائيلي". وعند تشريح هذه المدرسة نجد أن أكثر المنتمين لها إما من اليهود أو الصهاينة أو مناصريهم، وأن مفهوم الخطر يتجسد في الخطر من الإسلاميين، وأن هذا الخطر موجه بالدرجة الأولى إلى "إسرائيل" عاصمة الغرب الديموقراطي في الشرق الأوسط[136]. ويذهب عبد الإله بلقزيز إلى أن انحسار ظاهرة الاستشراق ناجم من استنفاذها دورها المعرفي، نتيجة نضوب ينابيع الإبداع العلمي فيها، وسقوطها في الاجترار والانغلاق الفكري والمنهجي على عالمها الداخلي؛ فلم يعد الاستشراق قادراً على أن يقدم أعمالا مقنعة بعد رحيل آخر رموز جيله الأخير مكسيم رودنسون Maxime Rodinson، وجاك بيرك Jack Burke، وشيخوخة آخرين مثل جوزيف فان إس Joseph S. Van، وانتهاء آخرين مرموقين إلى إنتاج نصوص في غاية السخف والتفاهة (برنارد لويس)، ولم يصدر عن مستشرقي اليوم إلا البعض القليل من النصوص الجديرة بالقراءة مثل كتابات مايكل كوك Michael Cook، أو جاكلين الشابي Jacqueline Chabbi، أما البواقي فتكرر نفسها في حركة رتيبة لا إبداع فيها ولا تجديد، مع تراجع حاد في عدد الدراسات، وتدهور ملحوظ في المؤسسات العلمية والكراسي الجامعية والمجلات الخاصة بالدراسات العربية والإسلامية في البلدان الغربية، وتوقف كامل للمؤتمرات العلمية الاستشراقية، وتراجع في مستوى اكتساب اللغة العربية. ويقترن بهذا الانحسار الكبير لموجة الاستشراق إعادة توزيع الدراسات الإسلامية على ميادين وتخصصات دراسية فرعية مثل العلوم السياسية والعلوم الاجتماعية، ومع هذا التوزيع الجديد يتبين أن ميدان الاستشراق بدأ يتعرض للتهشيش المتدرج، وأن هشاشته آخذة إياه

[136] عبد الله محمد، **مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين**، ص 33 و34.

إلى الانفراط كميدان مستقل، وإلى نجاح تلك الميادين والتخصصات، التي تتناهبه، في وراثته[137].

ويرى بلقزيز أن الدراسات التي تصدر عن الإسلام والحركات الإسلامية في هذه الأيام، بل منذ الثورة الإيرانية في سنة 1979، هي في معظمها تجري في نطاق مراكز أبحاث أو معاهد تابعة لوزارات الخارجية والدفاع والاستخبارات في دول أوروبا وفي الولايات المتحدة، أو ممولة من هذه المراكز أو من وكالات أخرى مثل الوكالة الدولية للتنمية Agency for International Development "AID"، وهي لهذه الأسباب، موجهة وتضمر اغتراضاً سياسياً ولا توجد من ورائها جدوى علمية. أما "الباحثون" الذين يعدون دراساتهم، في نطاق هذه الـ"أجندة" الغربية الرسمية، فلم يعودوا باحثين بالمعنى الأكاديمي بل تحولوا إلى "خبراء" في الإسلام والحركات الإسلامية وبلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، يؤدون سخرة سياسية لحكوماتهم باسم "علم" في غاية الضحالة، ولقد استدرج إلى الفخ مستشرقون مرموقون (سابقاً) من طراز برنارد لويس، الذي ارتضى أن يكون لساناً من ألسنة المحافظين الجدد. إن ما يقوم به الجيل الجديد من "الباحثين"/ "الخبراء"، في ميدان دراسات الإسلام، يشبه أن يكون نظيراً لما يكتبه "خبراء" الغرب و"العالم الثالث" في دراساتهم المكتوبة لمصلحة البنك الدولي World Bank، وصندوق النقد الدولي International Monetary Fund، وبعض المنظمات الفرعية التابعة للأمم المتحدة United Nations، من تقارير لا قيمة علمية فيها[138].

[137] عبد الإله بلقزيز، سمات الدراسات الاستشراقية وخطوطه المتوازية، مجلة **النهضة**، 2015، انظر: http://www.almustaqbal.com/v4/article.aspx?Type=NP&ArticleID=674122

[138] المرجع نفسه.

الخلاصة والاستنتاجات:

تلتقي الصهيونية مع الاستشراق في الجذور الفكرية، فهنالك قاسم فكري مشترك بينهما قائم على النظرة الاستعلائية العنصرية مع ادعاء النقاء والتفوق، وبالتالي فإن الأيديولوجية الاستعمارية الغربية المبنية على مفاهيم الاستشراق تعدُّ أحد أهم المصادر للأيديولوجية الصهيونية.

تبنّى كل من الاستشراق والصهيونية النظرة للشرقيين نفسها، وهي رؤية مبنية على تعزيز الفرق بين (أوروبا أو الغرب أو نحن) الأذكياء/ الموضوعيين/ العقلانيين؛ وبين (الشرق أو هم) الأغبياء/ غير العقلانيين/ الفاسدين/ غير الموضوعيين، وذلك بهدف التمهيد للاستعمار الغربي والصهيوني، وإقناع الجمهور "الغربي" بتقبل فكرة السيطرة على شعب آخر "الشرقي" بل وممارسة العنف ضده، وهذا لن يحصل بدون نزع صفة الإنسانية عن "الآخر" من خلال وصمه بصفات التخلف وتشبيهه بالحيوانات، بحيث يكون هنالك "نحن" المتحضرين الأذكياء المتفوقين في مقابل "هم" المتخلفين الأغبياء المنحطين، الذين لا يستحقون الحياة أو حتى الشفقة عند قتلهم.

مهدت أعمال بعض المستشرقين الطريق أمام الحملات الاستعمارية الأوروبية بل وعمل بعضهم بشكل مباشر في خدمة الاستعمار، فهيأ الاستشراق من خلال "المعرفة" كل الشروط لترجمة القوة وفرض سيطرة استعمارية على فلسطين، كما عملت عدة جمعيات استشراقية على تسهيل مهمة الاستيطان الصهيوني في فلسطين؛ من أهمها صندوق الاكتشاف الفلسطيني.

التقى الدافع الديني للاستشراق مع الطموحات الصهيونية، وحصل انسجام كبير بين أهداف الاستشراق الدينية والصهيونية، ترافق ذلك مع

ظهور اللا سامية في الغرب ومن ثم كان الحل الصهيوني المقترح للمسألة اليهودية جزء لا يتجزأ من العملية الاستعمارية الغربية.

حرص المستشرقون ومن خلفهم الاستعمار على إحياء فكرة "الشعب اليهودي" وعملوا على حثّ اليهود لاستعادة "أرض الميعاد"، بدأ ذلك بشكل عملي بنابليون بونابرت وتعمق بأعمال المستشرقين الهادفة لإثبات الحق التاريخي لليهود في فلسطين، وترافق ذلك مع إنكار المستشرقين لوجود شعب فلسطيني، وإصرارهم على أن التسمية التاريخية لفلسطين هي "أرض إسرائيل".

تقاطعت مصلحة الاستعمار مع الصهيونية سياسياً واقتصادياً وأمنياً، فتحولت "إسرائيل" إلى أداة استعمارية لحماية المصالح الغربية، وتطورت لتصبح قاعدة عسكرية متقدمة للغرب في آسيا تمنع أي حركة تحرر وطني تهدف للتخلص من الهيمنة الغربية.

تطورت ظاهرة الاستشراق وتحولت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي لظاهرة الإسلاموفوبيا، حيث تشترك ظاهرة الإسلاموفوبيا مع الاستشراق في الطروحات نفسها، ظاهرة الإسلاموفوبيا تعززت بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر لتصبح بمثابة صناعة يشرف عليها الصهاينة في الغرب؛ هدفها تعزيز المخاوف من العرب والمسلمين والحوؤل دون قيام أيّ نظام ديموقراطي في الدول العربية، والعمل على نزع الشرعية عن المقاومة الفلسطينية من خلال وصمها بـ"الإرهاب".

يمكننا وصف العلاقة بين الصهيونية والاستشراق بأنها أشبه بالعلاقة الطفيلية، بمعنى أن الصهيونية تغذت على المفاهيم الاستشراقية وتبنت النظرة الاستشراقية للعرب، مما انعكس على سلوكها الاستعماري العنيف. أما علاقة الصهيونية بظاهرة الإسلاموفوبيا فهي قائمة على استغلال

مشاعر الخوف لدى الغربيين من الإسلام، فقامت بتغذية هذه المشاعر وتنميتها، بمعنى أن الصهيونية تغذت على المفاهيم الاستشراقية وقامت فيما بعد بدورها بتغذية ظاهرة الإسلاموفوبيا. بينما يمكننا وصف العلاقة بين الاستشراق والإسلاموفوبيا بعلاقة تطور؛ حيث تطورت ظاهرة الاستشراق بعد استنفاذ أغراضها لتتحول إلى ظاهرة الإسلاموفوبيا.

نستنتج من خلال استعراضنا لظاهرة الاستشراق وتحولها لظاهرة الإسلاموفوبيا؛ بأن هنالك ما يشبه الخط غير الظاهر الذي يربط بين أعمال المستشرقين و"الخبراء" ومحاولة إثبات الحق التاريخي للصهاينة في فلسطين بحيث يصبح أيّ شكل من أشكال "الرفض" لهذا "الحق" يُعدُّ "إرهاباً"، وهذا سيقود بالضرورة إلى تصوير الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين كصراع بين قوميتين متصارعتين على أرض فلسطين لهما الحقوق نفسها؛ القومية الفلسطينية و"القومية اليهودية"، وذلك بهدف التعمية على حقيقة المشروع الصهيوني الاستعماري في فلسطين، وحقيقة أن الصراع هو بين مستعمر محتل وسكان أصلانيين.

صدر من سلسلة
دراسات علميَّة محكَّمة

1. صابر رمضان، **دور الحركة الطلابية الفلسطينية في التحرر الوطني: الفرص والمعيقات**، دراسة علمية محكّمة (1)، 2016.
2. أشرف عثمان بدر، **الصهيونية والغرب من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا**، دراسة علمية محكّمة (2)، 2016.

من إصدارات
مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

1. **سلسلة التقرير الاستراتيجي الفلسطيني**، صدر من هذه السلسلة 9 مجلدات، تغطي الفترة 2005–2015.
2. **سلسلة الوثائق الفلسطينية**، صدر من هذه السلسلة 6 مجلدات، تغطي الفترة 2005–2010.
3. **سلسلة اليوميات الفلسطينية**، صدر من هذه السلسلة مجلدين، تغطي الفترة 2014–2015.
4. **سلسلة أولست إنساناً**، صدر من هذه السلسلة 13 كتاباً.
5. **سلسلة تقرير معلومات**، صدر من هذه السلسلة 28 كتاباً.
6. **كتب علمية متنوعة** (69 كتاباً).
7. **كتب باللغة الأجنبية** (27 كتاباً).

قواعد النشر
في سلسلة دراسات علميَّة محكَّمة

1. يرحب مركز الزيتونة بالدراسات العلمية التي تُعنى بالمجالات السياسية والاستراتيجية، وخصوصاً تلك المتعلقة بقضية فلسطين وما يرتبط بذلك عربياً وإسلامياً ودولياً.
2. يشترط في الدراسات المرسلة ألا تكون قد نشرت سابقاً، وأن تلتزم بمناهج البحث العلمي المعتمدة.
3. يرفق الباحث مع الدراسة ملخص باللغتين العربية والإنجليزية بحدود 120–150 كلمة.
4. تخضع المواد المرسلة للتحكيم العلمي الأولي من هيئة التحرير، ثم ترسل للتحكيم العلمي الخارجي، وفق الأعراف العلمية العالمية. ومن حق الهيئة رفض أي من الدراسات المرسلة، أو طلب التعديلات اللازمة قبل إجازتها نهائياً للنشر. ويتم تبليغ الكاتب بالقرار خلال شهرين من استلام الدراسة.
5. يحتفظ المركز بكافة حقوق النشر الورقي الإلكتروني للدراسات وترجمتها، ولا يجوز إعادة نشرها إلا بإذن خطي مسبق من المجلة.
6. تُراعَى في كتابة الدراسات الموضوعية والدقة، وقواعد التوثيق والاقتباس، وعمل الهوامش بالطرق المتعارف عليها علمياً، والتي تتضمن:

- الكتب: اسم المؤلف، وعنوان الكتاب، ورقم الطبعة (مكان النشر: اسم الناشر، تاريخ النشر)، وأرقام الصفحات.
- المجلات: اسم كاتب المقال، وعنوان المقال، واسم المجلة أو الدورية، ورقم العدد، وتاريخ العدد، وأرقام الصفحات.

- الصحف: اسم كاتب المقال، وعنوان المقال، واسم الصحيفة، ومكان صدورها، وتاريخ العدد.

لمزيد من التفصيلات حول طرق التوثيق، يرجى فتح الرابط التالي:
https://link.alzaytouna.net/Guidelines_Refereed-Academic-Studies

7. يرجى إرسال الدراسات على برنامج Microsoft Word، مع مراعاة أن يكون حجم الخط 14، ونوع الخط Simplified Arabic، كما يرجى إعداد الهوامش في ذيل كل صفحة (على شكل Footnotes).

يوفر مركز الزيتونة الكثير من الكتب والدراسات وفصول من كتب للتحميل المجاني عبر موقعه، يرجى الاطلاع على الرابط الإلكتروني:
https://www.alzaytouna.net

becomes categorized as “terrorism.” This will necessarily lead to the portrayal of the conflict between the Palestinians and the Israelis as one between two nationalities with the same rights over the land of Palestine; the Palestinian Nationality and “Jewish Nationality.” Their objective is to obscure the reality of the Zionist colonial project in Palestine and the fact that the conflict is between an occupying colonizer and an indigenous population.

Keywords:

Zionism	Orientalism	Islamophobia
Colonlialism	Terrorism	Middle East
Western Countries	Religious Belief	

Abstract

Zionism and the West
From Orientalism to Islamophobia

This academic article defines the relation between Orientalism, on the one hand, and Zionism and Islamophobia on the other. It is based on two hypotheses; first, that Orientalism paved the way for Zionism when trying to prove the historical right of the Jews in Palestine; and the second is that Islamophobia is an extension of Orientalism. The article adopted the historical method, and the author has also investigated, analyzed and compared some texts and reports. The paper consists of three main sections: the Orientalist view; the relation between Zionism, colonialism and orientalism; and how Orientalism has evolved to be replaced by Islamophobia

This paper can be summarized in that some orientalists had paved the way for the European colonial campaigns, and some had even served colonialism directly. For Orientalism, through "knowledge," prepared all the conditions for imposing colonial control over Palestine. After the collapse of the Soviet Union, Orientalism developed and turned into Islamophobia, where they both share the same ideas. By studying this transformation, we conclude that there is an invisible connection between the works of the Orientalists and the "experts," on one hand, and the attempt to prove the historical right of the Zionists in Palestine, on the other hand, hence any form of "rejection" of this "right"

Refereed Academic Studies (2)

Zionism and the West:
From Orientalism to Islamophobia

By: Ashraf Badr

هذه الدراسة

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن سؤال يتعلق بماهية العلاقة بين الاستشراق وكلاً من الصهيونية والإسلاموفوبيا، وتنطلق من فرضيتين أساسيتين الأولى أن الاستشراق مهّد للصهيونية من خلال محاولة إثبات الحق التاريخي لليهود في فلسطين، والثانية أن ظاهرة الإسلاموفوبيا عبارة عن امتداد لظاهرة الاستشراق.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى أنّ أعمال بعض المستشرقين مهدت الطريق أمام الحملات الاستعمارية الأوروبية، وعمل بعضهم بشكل مباشر في خدمة الاستعمار، فهيأ الاستشراق من خلال "المعرفة" كل الشروط لترجمة القوة وفرض سيطرة استعمارية على فلسطين. وتطورت ظاهرة الاستشراق وتحولت إلى ظاهرة الإسلاموفوبيا، وأدى الترابط بين أعمال المستشرقين و"الخبراء" ومحاولة إثبات الحق التاريخي للصهاينة في فلسطين إلى تصنيف أيّ شكل من أشكال "الرفض" لهذا "الحق" بـ"الإرهاب"، وهذا سيقود بالضرورة إلى تصوير الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين كصراع بين قوميتين متصارعتين على أرض فلسطين لهما الحقوق نفسها، القومية الفلسطينية و"القومية اليهودية"، وذلك بهدف التعمية على حقيقة المشروع الصهيوني الاستعماري في فلسطين، وحقيقة أن الصراع هو بين مستعمر محتل وسكان أصليين.

وهذه الدراسة هي رقم 2 من سلسلة دراسات علميَّة محكَّمة، التي تهدف إلى تسليط الضوء في كل دراسة منها على إحدى القضايا المهمة التي تشغل المهتمين والمتابعين لقضايا المنطقة العربية والإسلامية، وخصوصاً فيما يتعلق بالشأن الفلسطيني. وتزود هذه الدراسات، التي تصدر بشكل دوري، القراء بمعلومات محدَّثة وموثقة ومكثفة في عدد محدود من الصفحات.

ISBN 978-614-494-006-8

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 14-5034 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
www.alzaytouna.net | info@alzaytouna.net

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت